مكتب
٠١٠٠٥٣٣٤٣٥٨
الأندلس

تاريخ

الخلافة العباسية

العزبي زغلول السوقي

وصول العباسيين إلى الخلافة

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي عم الرسول ﷺ، وكان أسن من الرسول عليه السلام بثلاث سنين أي أنه ولد قبله بثلاث سنين وقيل سنتين، وكان أكبر رجال بني هاشم مكانة وأكثرهم مالاً في الجاهلية فقلدوه قيادتهم، وكانت له سقاية الحجيج ورفادتهم وولاية زمزم.

وأكثر الروايات على أنه أسلم بعد بدر، ويقال إنه أسلم قبل الهجرة إلا أنه كتم إسلامه لكراهية مخالفة قومه وخوفه على أمواله الكثيرة والمتفرقة في قريش وخشية على مكانته وضياع ما أسند إليه من السقاية والرفادة مما يعني ضياع ذلك من بني عبد المطلب، ورجح ابن عبد البر إسلامه قبل فتح خيبر أي في السنة السابعة من الهجرة ثم أظهره يوم فتح مكة وأنه كان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ وكان المسلمون يتقوون به بمكة.

وأيا كان الأمر فالذي عرف منه أنه كان من المدافعين عن رسول الله ﷺ وممن يرضيهم انتصاره وذيوع أمره، وأوصى الرسول عليه السلام أصحابه يوم بدر ألا يقتلوه لخروجه مستكرها إلا أنه طلب منه أن يفدي نفسه، وقد هاجر إلى المدينة المنورة قبل فتح مكة وشهد مع الرسول ﷺ فتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف، ثم أقام في المدينة المنورة، وكان الرسول عليه السلام يجله ويكرمه، وجرى على ذلك من بعده الخلفاء الراشدون، وكان محل مشورتهم وتقديمهم إلا أن العباس رضي الله عنه لم يطمع في تولي منصب الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ فلم يكن يرى نفسه من أهل السابقة، ولم تعرف عنه مخالفة للخلفاء الثلاثة الأول وإن كان في البداية يحب أن تكون الخلافة لابن أخيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد توفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه في رجب سنة ٣٢ من الهجرة وهو ابن ٨٨ سنة.

واشتهر من أبناء العباس ابنه عبد الله رضي الله عنه الذي نما البيت العباس من سلالته وخصوصاً من ابنه علي، وقد كانت ولادة عبد الله رضي الله عنه قبل الهجرة بسنتين وعرف عنه اشتغاله بالعلم وقد حظي بدعاء الرسول عليه السلام له حيث قال:"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فظهرت بركة هذا الدعاء عليه حتى لقب بحبر الأمة وترجمان القرآن، وكانت له الحظوة عند الخلفاء الراشدين ولم يشتغل بالسياسة والولايات إلا في عهد علي رضي الله عنه حيث كان معه في شؤونه كلها، وتولى له

البصرة، وسفر له عند خصومه، وناب عنه في إقامة الحج وكان معه في معاركه الشهيرة، ولما استشهد علي ﷺ خرج ابن عباس من العراق ولحق بمكة، ثم سالم معاوية ﷺ وبايعه وجعل يتردد عليه بدمشق وكان محل اهتمامه وحفاوته وصلته.

ولما توفي معاوية ﷺ واستخلف يزيد بايعه ابن عباس، وثبط الحسين عن المسير إلى الكوفة، ونصحه بالبقاء في الحجاز خوفا من غدر أهل العراق به، واعتزل الفتنة بعد وقعة الحرة، وبعد وفاة يزيد لم يتفق ابن عباس وابن الزبير مما جعل ابن عباس يغادر مكة المكرمة إلى الطائف حيث مات بها سنة ٦٨ من الهجرة.

لقد كان لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أثره في لفت الأنظار للبيت العباسي، لا سيما بعد أن نشر تلاميذه علمه في الآفاق، وقد ترك عبد الله عدداً من البنين برز من بينهم ابنه علي الذي قال فيه ابن حزم:"وفيه الجمهرة والعدد والبيت والخلافة" وقد كان علي أجل أخوته قدراً وأعظمهم شأناً،على الرغم من أنه كان أصغرهم سنافقدولدليلةقتل علي ﷺ ؛ وكان جميلاً ورعاً نبيلاً عابداً وكان يقال له "السجَّاد" لكثرة صلاته حيث قيل إنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، كما كان عالماً زاهدا، سيداً في قومه، روى هشام بن سليمان المخزومي:"أن علي بن عبد الله كان إذا قدم مكة المكرمة حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلس علي بن عبد الله إجلالاً له وإعظاماً وتبجيلاً، فإن قعد قعدوا وإن مشى مشوا جميعاً، ولم يكن لقرشي مجلس يجتمع إليه فيه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم".

وقد أوصى عبد الله ابنه علياً هذا بإتيان الشام والتنحي عن ابن الزبير والالتحاق بعبد الملك بن مروان، فعمل بوصيته ورحل إلى الشام، وقدم إلى دمشق ثم خرج منها إلى الحميمة من أرض الشراة بالبلقاء لكيلا يقع بينه وبين عبد الملك الواشون، وقد بقيت صلته طيبة بعبد الملك حتى توفي، وجاء بعده ابنه الوليد الذي ساءت العلاقة بينه وبين علي بن عبد الله، ويقال في سبب ذلك أن علياً تزوج لبانة بنت عبد الله بن جعفر، وكانت عند عبد الملك فطلقها فحنق الوليد على علي وقال له:"إنك تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منهم، وضربه بالسياط كما ضربه ثانية لاتهامه إياه بأنه قتل سليطاً أخاه الذي ولد لأمة كانت عند عبد الله بن عباس، والحقيقة أن السبب الأساسي في تردي العلاقة بينهما هو خوف الوليد من مكانة علي وما شاع عنه من أنه يقول إن الخلافة ستكون في ولده، ونما إلى الوليد أنه يعمل لزوال ملك بني أمية مما جعله يعمل على إذلاله وإهانته والانتقام منه، إلا أن سليمان وعمر بن عبد العزيز وهشاماً أكرموه ولم يعادوه، وتغاضى هشام عن مطالبته بالخلافة.

وبهذا يمكن القول إن علي بن عبد الله بن عباس هو أول شخصية عباسية كانت لها مطامح سياسية تصل إلى حد العمل لإزالة ملك بني أمية، والشروع في تأسيس الدعوة لبني العباس، وقد بقي على ذلك بقية حياته إلى أن توفي سنة ١١٨ من الهجرة في خلافة هشام بن عبد الملك.

وقد كان لعلي أولاد كثيرون بلغوا في عددهم اثنين وعشرون ذكراً، منهم: محمد وهو أبو الخلفاء، وقال عنه ابن حزم:"وفيه البيت والعدد والخلافة"، ومنهم داود، وعيسى، وسليمان، وصالح، وعبد الصمد، وعبد الله... وغيرهم.

وقد كان محمد بن علي أكبر إخوته، وممن رأى وعايش ما جرى لأبيه على يد الوليد بن عبد الملك فورث منه الحنق على الأمويين والرغبة الشديدة في الإطاحة بهم، بل كان هو الشخصية الأساسية التي عملت وخططت عملياً لذلك بعد أن انتقل إليه ميراث الشيعة الهاشمية الكيسانية التي كانت تعمل في الخفاء للإطاحة بالحكم الأموي علي يد زعيمهم أبي هاشم، فمن هو أبو هاشم؟ وما هي علاقته بالدعوة العباسية؟

أبو هاشم هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب إمام فرقة الهاشمية التي انبثقت من فرق الكيسانية العديدة بعد وفاة المختار بن أبي عبيد الثقفي المؤسس الحقيقي لفرقة الكيسانية المغالية التي نادت بالثأر من قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقد كان المختار يزعم أنه يدعو لمحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وأنه هو الذي انتقلت إليه الإمامة بعد استشهاد الحسين، إلا أن محمداً تبرأ منه، وأعلن كذبه وتزويره لما كتبه على لسانه، وإن كان محمد بن الحنفية لم يغضبه أن يقوم أحد ويثأر من قتلة أخيه، وقد حكى عنه أنه قال:"فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه"، إلا أن محمداً لم يقم بالدعوة لنفسه ولا عمل لذلك، ولما توفي سنة ٨١هـ انقسم المعتقدون بإمامته إلى عدة فرق كان من بينها الفرقة التي زعمت أن الإمامة انتقلت إلى ابنه أبي هاشم والتي عرفت بالفرقة الهاشمية.

ويكاد المؤرخون يجمعون على أن أبا هاشم استغل هذا التيار المستعد للالتفاف حوله من أجل استخدامهم في الإطاحة ببني أمية، وليس من الضرورة أن تكون اعتقادات أبي هاشم متفقة مع الآراء المغالية والمتطرفة التي كانت تؤمن بها فرق الكيسانية، إلا أنه استغل بعضها استغلالا سياسياً لتحقيق طموحه السياسي.

ولم يكن أبو هاشم يعلن عداوته للأمويين، بل كان يرتاد البلاط الأموي في دمشق ويتصل بالخلفاء الأمويين، ويعمل في سرية تامة فيما يتعلق بأهدافه السياسية، ويقول المؤرخون إن محمد بن علي كان ممن تتلمذ عليه لما أرسله أبوه إلى المدينة لتلقي العلم من أبي هاشم، ولما كبر أبو هاشم

وشعر بدنو أجله وهو خارج من لقاء الخليفة سليمان بن عبد الملك مر على بني عمومته العباسيين بالحميمة، والتقى هناك بمحمد بن علي وأبيه وأودعهم أسرار دعوته وأسماء دعاته، وطلب منهم أن يعملوا لتحقيق الهدف المنشود وهو الإطاحة بحكم الأمويين، وكتب إلى دعاته كتبا يخبرهم فيها بانتقال الأمر إلى محمد بن علي العباسي ويأمرهم بطاعته، وكان ذلك سنة ٩٨هـ على قول أكثر المؤرخين وقيل سنة ٩٧هـ.

وهناك روايات كثيرة تبالغ في محتوى الوصية التي سلمها أبو هاشم لمحمد بن علي وسواء صحت هذه الوصية أم لم تصح فإن من المؤكد أن الانطلاقة الأساسية لعمل العباسيين الجاد للإطاحة بالأمويين بدأت بعد هذا اللقاء التاريخي بين أبي هاشم والعباسيين في الحميمة.

وقد كان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أنبه إخوته وأفضلهم، وكان من أجمل الناس وأعظمهم قدراً، وكان عابداً زاهداً له علم وفقه ورواية، وكان مجاهداً يغزو الصائفة هو وعدة من إخوته ومواليه، وكان سيد ولد أبيه وخيرهم ديناً وأسخاهم كفا، حصين الرأي حسن التدبير سديد المنطق بليغ القول.

وبعد لقائه بأبي هاشم ورث محمد منه العمل من أجل إزالة حكم بني أمية وأصبح ذلك شغله الشاغل ومحور تفكيره وتحركاته، واستفاد من خبرات السابقين عليه وورث عن أبي هاشم ميزات عمله السري، وطوره وأحسن تدبيره حتى كان هو الذي رسخ قواعد الدعوة لبني العباس، وشيد أركانها ووضع أنظمتها وشعاراتها، وأنشأ مجالسها، واختار قادتها، وهيأ أنصاره لإعلان يوم الخروج على بني أمية حتى جاء ابنه إبراهيم وقطف ثمار عمله وتأتى له ذلك الإعلان في الوقت المناسب.

وقد انتفع محمد بن علي بحوادث التاريخ وبما صار لبني عمومته آل أبي طالب وشيعتهم خصوصاً ولكل المعارضين الآخرين لبني أمية، فرأى أن الفشل الذريع كان نصيبهم في حركاتهم ضد الأمويين لأنهم كانوا يسيرون خلف إمام معين فإذا قتل هذا الإمام أو مات خلف فراغا وفرقة واختلافاً في أتباعه، ولأنهم تعوَّدوا أن يهبوا فجأة في وجه الأمويين مطالبين بالخلافة دون سابق إعداد وتهيئة للأتباع وتربيتهم مما جعلهم يتخلون عنهم في اللحظات الحاسمة وذلك لعدم تعمق الفكرة في نفوسهم، كما رأى محمد بن علي أن الأقاليم الإسلامية ليست متساوية في الاستجابة لدعوة الهاشمية فأحسن قراءة الأوضاع السياسية والتيارات العقدية لأهل كل بلد وانطلق يخطط وفق ذلك فخرج من كل ذلك بالأسس العملية التالية:

١- العمل بسرية تامة، والتمهيد للحركة، والإعداد التام لها قبل القيام بإعلانها، وذلك عن طريق:

- إثارة الناس ضد بني أمية بإظهار معايبهم وإبراز تجاوزاتهم والتركيز على الأحداث المأساوية التي حدثت في عهدهم وكان لها أثر في نفوس الناس.
- الدعوة للعمل بالكتاب والسنة، والمساواة والعدل والإصلاح وإبراز تجاوزات بني أمية في هذه الجوانب وإثارة الشعور بالسخط والتذمر لدى الظلومين من العرب والموالي.
- الدعوة للرضا من آل محمد ﷺ دون تسمية شخص بعينه، وذلك بهدف عدم ربط الدعوة بفرد معين حتى لا تضعف إذا مات أو قتل، وبهدف [كذلك] جلب أتباع العلويين إليها، والذين ظنوا أن المقصود بالرضا من آل محمد ﷺ هو شخص من آل علي بن أبي طالب ﷺ.
- تربية الأتباع الذين ينضمون للدعوة وتهيئتهم لتحمل مشاقّها وبذل التضحيات في سبيلها، وتعويدهم على العمل السري والصبر عليه.
- عدم العصيان العسكري والتمرد على السلطة الحاكمة قبل صدور الأوامر بذلك رغم كل ما قد يتعرض له الأتباع من مضايقه وتعذيب وقتل ضمانا للسرية المطلقة للدعوة ولكي لا يتعرض القائمون بها للاستئصال.

٢-اختيار الأماكن الملائمة للدعوة.

لقد كان من أهم إنجازات محمد بن علي لضمان النجاح لدعوته حسن قراءته لطبيعة التوجهات وردود الفعل المنتظرة لأهالي الأقاليم الإسلامية المختلفة لدعوته التي سيدعو إليها، وكان مما جاء عنه في هذا الصدد قوله في رسالة وجهها إلى أحد دعاته:"...أما الكوفة وسوادها فشيعة عليّ وأولاده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة (أي منطقة ما بين النهرين في شمال العراق والأراضي التركية) فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وفيهم عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل، ولم يقدح فيها فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب

وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة، وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق".

وفي رواية للهيثم بن عدي عن أبيه قال:"إن محمد بن علي اختار خراسان وقال:"لا أرى بلداً إلا وأهله يميلون عنا إلى غيرنا..." ثم ذكر نحو الكلام السابق".

وقد استنبط المؤرخون من الرواية السابقة ومن غيرها من الروايات المتعلقة ببداية الحركة العباسية الأسباب التي حدت بمحمد بن علي إلى أن يختار خراسان على غيرها من المناطق لنشر الدعوة العباسية، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- النوعية المتميزة لسكان تلك المنطقة من حيث سلامة الصدور وفراغ القلوب من الانتماءات السياسية والمذهبية، ومن حيث الاستعداد القتالي والمؤهلات العسكرية.
- موقع خراسان في أقصى المشرق، وبعدها بالتالي عن الشام مركز ثقل البيت الأموي الحاكم، ولما يتيحه قربها من بلاد الترك للثوار أن يلوذوا بها إذا ما اضطرهم الظروف لذلك.
- توفر أسباب النقمة والسخط على الأمويين لدى أهل خراسان فهم إما موال وعجم نالوا ظلم الدهاقين في جبايتهم للخراج والجزية منهم، وإما عرب مستقرون أزيلت أسماؤهم من الديوان، أو عرب مجنّدون نالتهم سياسة التجمير، أي البقاء في الثغور أثناء فصل الشتاء بدل العودة إلى أهاليهم في المدن والقرى الخراسانية أو غيرها.
- تفاقم العصبية والصراع القبلي بين العرب اليمانية والربعية من جهة والمضرية من جهة أخرى ممن كانوا يقيمون في خراسان وإمكانية استغلال أحد طرفي النزاع لصالح الدعوة، بل ربما استغلال أطراف النزاع كلهم لصالح الدعوة ضد بني أمية باعتبارهم مسئولين عن تأجيج نار ذلك الصراع القبلي، وسوف يحسن دعاة الدعوة العباسية استغلال هذا الصراع القبلي لصالحهم كما سيظهر جليا من موقف أبي مسلم الخراساني حين يأتي تفصيله.
- ويضيف بعض المؤرخين سببا آخر وهو تعوّد أهل خراسان من العجم على التسليم بالحق المقدس لبعض الأسر في الملك وخصوصا آل ساسان واعتبار من يزاحمهم مغتصبا، فلما أسلموا أصبح آل البيت في نظرهم محل آل ساسان، ولذا سهل على الدعاة إقناعهم بأن الأمويين مغتصبون لحق آل البيت، ومن هنا كانت الدعوة العباسية تدعو للرضا من آل محمد ﷺ.

- كما يضيف بعض المؤرخين سببا اقتصاديا آخر وهو كثرة البطالة بين أهل خراسان بسبب إهمال الزراعة وهجرة أهل القرى إلى المدن مما أدى إلى ازدحامها بكثير من الشباب الذين لا عمل لهم مما جعلهم بيئة ملائمة لبث الدعوة المعادية للوضع القائم.

وعلى الرغم من أن خراسان كانت هي الإقليم الأساسي[1] الذي ركز محمد بن علي عليه لنشر دعوته فإنه لم يهمل حظه وحظ دعوته من الكوفة، وذلك لاشتهارها بتركز روح المعارضة فيها، ولأن أبا هاشم الذي ورّث دعوته للعباسيين كان قد بث دعاته فيها فكان لا بد لمحمد بن علي من استغلالهم، وفضلا عن كل ذلك فقد كان لموقع الكوفة المتوسط بين مركز قيادة الدعوة الذي هو الحميمة ومحل نشرها الذي هو خراسان أثره في استمرار الاهتمام بها وجعلها محل التقاء الدعاة ببعضهم ومعرفة أخبار الدعوة والتخطيط المستمر لها، إلا أن محمد بن علي لم يتخذها المجال الرئيس لنشر الدعوة لما ذكره في رسالته من أنها علوية الهوى، ولقربها كذلك من دمشق عاصمة الأمويين وكونها بالتالي تحت أنظارهم ومراقبتهم فيصعب نجاح أي دعوة من هذا النوع بها، ولهذا فقد أوصى الإمام محمد بن علي دعاته بعدم الإكثار من الأتباع بها وإنما ينتقون منهم من كان مستعداً للالتزام والاستمرارية، ومع ذلك فقد كانت الكوفة مقراً لكبير الدعاة الذي كان بدوره وسيطا بين الإمام في الحميمة ودعاته وأتباعه بخراسان، وبهذا أصبح محور (الحميمة – الكوفة- خراسان) مجالاً للدعوة العباسية، وقد كان اختيار الحميمة مركزاً للقيادة لبعدها عن الأنظار لعدم أهميتها، ولأنها كانت أيضاً في طريق القوافل التجارية وعلى طريق الحج فكان الدعاة يأتون في زي التجار أو كحجاج ويلتقون بالإمام دون أن يثيروا نظر أحد.

٣-التنظيم الهرمي المحكم للدعوة وقيادتها:

من استفادة محمد بن علي من تجارب العلويين وغيرهم ممن عارضوا بني أمية رؤيته ما كانوا عليه من سوء التخطيط لحركاتهم وعدم الإعداد والتنظيم الكافيين لها، ومن مظاهر عدم التخطيط التي وقعوا فيها إعلانهم لأتباعهم بأسماء قادتهم والمنظمين للحركة، وكانت النتيجة وقوع هؤلاء القادة والمنظمين فريسة سهلة للأمويين القائمين بالمرصاد لأية معارضة علوية أو

(١) كانت خراسان في فترة الدعوة العباسية تعني الجزء الممتد من شمالي أفغانستان الحالية حتى نهر جيحون، ومن مدنه: بلخ وهراة بالإضافة إلى الجزء الشمالي الشرقي من إيران الحالية ومن مدنه نيسابور وطوس وسرخس، والأجزاء الجنوبية الغربية من تركستان والقريبة من الحدود الإيرانية والأفغانية، ومن مدنها: مرو وبيهق وأبيورد ونسا.

غيرها، ومن هنا رأى محمد بن علي لتفادي هذه النتيجة السيئة أن يكون هناك تنظيم هرمي للدعوة والدعاة يتسم بالمرونة والتدرج بحيث لا يتعرف الأتباع إلا على القيادات المباشرة دون الترقي لمعرفة من فوقهم إلا بعد أن ينضج التابع بما يكفي لتحمله مهام ومسؤوليات التبعية للقيادة الأعلى درجة، وهكذا فقد كان التنظيم القيادي للدعوة هرميا بحيث يأتي في رأس الهرم الإمام الذي يدعى له ولا يكون معروفاً إلا لكبار الدعاة الذين يأتون بعده مباشرة، وغالباً ما يكون كبير الدعاة واحداً وتكون مهمته همزة وصل بين الإمام والأتباع، ثم يأتي بعد كبير الدعاة النقباء، وهم اثنا عشر نقيباً، ثم يأتي بعدهم نظراء النقباء وهم المؤهلون لتولي منصب النقابة في حال اختفاء أحد النقباء لموت أو قتل أو عجز، ثم يأتي بعدهم الدعاة وهم سبعون داعية كان النقباء يختارون منهم ولكل داعية مهمة قيادة مجموعة تعرف بدعاة الدعاة ثم تأتي بعد هؤلاء الخلايا والمجموعات السرية للأتباع الذين يقودهم الدعاة ودعاة الدعاة، وقد خضع هذا التنظيم لتطورات متعددة حسب توسع الدعوة ومراحلها إلى أن استقر حسب ما تم بيانه.

وقد ضمن محمد بن علي بهذا التنظيم السرية التامة وعدم افتضاح أسماء القيادات وبالتالي عدم تعرضها للقتل والتعقب، ورغم ذلك فلم تسلم الأمور من أزمات حرجة مرت بها الدعوة نتيجة افتضاح أسماء بعض الدعاة كما سيأتي بيانه.

ولا شك أن اختيار العدد ١٢ و ٧٠ كان فيه تمثل بما تم ليلة العقبة الثانية من اختيار الرسول ﷺ اثني عشر نقيباً من السبعين أو أكثر من الأنصار الذين قدموا عليه، وبما ذكر في القرآن الكريم من اختيار موسى عليه السلام للسبعين رجلا للميقات ومن بعث الاثني عشر نقيباً وكل ذلك من أجل ضمان إظهار الدعوة العباسية بمظهر المتابعة التامة للمنهج النبوي.

وقد حرص الدعاة بسائر مراتبهم على التخفي والظهور بمظاهر عدة لا تلفت الأنظار لهم، وخصوصا في مظهر التجار والحرفيين، كما أنهم كانوا على قدر كبير من البراعة في التعامل مع الناس ومعرفة اتجاهاتهم وتمييز من كان منهم أهلاً لتقبل الدعوة، ولا شك أنهم كانوا يخضعون للتربية المتواصلة والتعليم المستمر والتدريب النفسي والثقافي والعسكري والقيادي المتواصل.

مراحل الدعوة العباسية أو أدوارها

يمكن القول إن الدعوة العباسية مرت بمرحلتين أو دورين:

أولاً: الدور السري ويبدأ من سنة ١٠٠هـ وينتهي سنة ١٢٧هـ، وقد سبقته سنتان تم فيهما تعرف محمد بن علي على دعاة أبي هاشم والتخطيط معهم للدعوة.

ثانياً: الدور العلني ويبدأ سنة ١٢٨ وهي السنة التي تولى فيها أبو مسلم الخراساني قيادة الدعوة بخراسان إلى سنة ١٣٢هـ وهي سنة قيام الدولة العباسية، إلا أن هذا الدور بدأ بسنة أولى تمهيدية كانت السرية غالبة فيها.

ونتحدث بتفصيل أكثر عن هذين الدورين فيما يلي:

أولاً: الدور السري:

في بداية هذا الدور استوعب محمد بن علي شيعة أبي هاشم، وانتفع بهم غاية الانتفاع، فبعد لقائه بأبي هاشم سنة ٩٨هـ عرفه هذا الأخير بأسماء كبار دعاته، وطلب منه أن يتعرف إليهم ويستفيد منهم وكان هذا هو الذي اتبعه محمد بن علي حيث التقى بهم، واختار منهم كبار دعاته على التوالي، وكانوا خير عون له على نشر دعوته، ومن أهم من ذكرته المصادر من أسماء دعاة أبي هاشم الذين تعرف إليهم محمد بن علي:

سلمة بن بجير مولى بني مُسلية العامريين اليمانيين، وكان أكبر أصحاب أبي هاشم ورئيسهم، وأبو رباح ميسرة النبال مولى الأزد، وأبو عمرو البزار مولى بني مُسلية، وسالم بن بجير، وأبو هاشم بكير بن ماهان مولى بني مسلية، وأبو سلمة حفص بن سليمان الخلال مولى بني مسلية، وزياد بن درهم الهمداني المعروف بأبي عكرمة السراج وبأبي محمد الصادق، وموسى بن سريح السراج، ومعن بن يزيد الهمداني والمنذر بن سعيد الهمداني.

وقد اتخذ محمد بن علي كبار دعاته على التوالي من هؤلاء فكانوا بعد وفاة سلمة بن بجير أبا رباح ميسرة النبال، وبكير بن ماهان، وأبا سلمة حفص بن سليمان الخلال، وكان مركز إقامتهم بالكوفة مع التحرك بين الأقاليم وخصوصا إلى خراسان والحميمة عند الحاجة.

وفي عهد تولي أبي رباح ميسرة النبال مهمة كبير الدعاة أرسل سنة ١٠٠ أو سنة ١٠٢ أو ١٠٣ من الهجرة ثلاثة من الدعاة إلى خراسان وهم: محمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج الذي تسمى في خراسان بأبي محمد الصادق،

وحيان العطار فاتصلوا بكثير من أهل خراسان ودعوهم إلى الرضا من آل محمد ﷺ فانضم منهم للدعوة عدد تكون منهم مجلسان مجلس النقباء ويتكون من اثني عشر رجلاً، ومجلس السبعين ويتألف من سبعين داعية منهم النقباء.

وأسماء النقباء الاثني عشر تكاد تجمع المصادر على أكثرهم وتختلف في اثنين أو ثلاثة منهم، ولعل السبب الأساسي في الاختلاف في أسماء بعضهم أن أحدهم تولى النقابة في وقت ثم تولاها غيره في وقت آخر، فيذكر راوٍ اسم الأول ويذكر آخر اسم الثاني مكانه وهكذا.

والنقباء الاثنا عشر هم:

١/ أبو محمد سليمان بن كثير الخزاعي.

٢/ أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي.

٣/ أبو منصور طلحة بن زريق مولى خزاعة.

٤/ أبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة ومنهم من يجعل مكانه العلاء بن حريث الخزاعي.

٥/ أبو حمزة عمرو بن أعين مولى خزاعة ومنهم من يجعل مكانه العلاء بن حريث الخزاعي.

٦/ أبو النجم عمران بن إسماعيل مولى آل أبي معيط من قريش ومنهم من يجعل مكانه زياد بن صالح مولى خزاعة.

٧/ أبو جعفر لاهز بن قريظ التميمي.

٨/ أبو عيينة موسى بن كعب التميمي.

٩/ أبو سهل القاسم بن مجاشع التميمي جعل مكان بكير بن العباس حين عمي.

١٠/ أبو عبد الحميد قحطبة بن شبيب الطائي.

١١/ أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلي الشيباني.

١٢/ أبو علي شبل بن طهمان الهروي مولى بني حنيفة ويقال مولى الأزد أو بني أسد.

وفي سنة ١٠٥هـ توفي أبو رباح ميسرة النبال وعين محمد بن علي مكانه أبا هاشم بكير بن ماهان كبيرا للدعاة، وكان رجلا موسرا فساعد الدعوة بماله، وكان له نشاط كبير وهمة رفيعة في خدمة الدعوة، كما كان يتمتع بخبرة واسعة حيث كان مع الجنيد بن عبد الرحمن المري عامل السند مترجما له، ثم قدم الكوفة وخدم الدعوة، وأصبح يتنقل بهمة ونشاط بين الأقاليم.

تعرض الدعوة لبعض الأزمات في عهد تولي بكير بن ماهان لمنصب كبير الدعاة:

وفي فترة تولي بكير بن ماهان لمنصبه تعرضت الدعوة لبعض الأزمات الحرجة في خراسان حيث تم اكتشاف بعض الدعاة الذين أرسلهم بكير سنة ١٠٧هـ من قبل أسد بن عبد الله القسري والي خراسان لأخيه خالد فقطع أسد أيدي من ظفر منهم وأرجلهم وصلبهم، وكان منهم أبو محمد الصادق ومحمد بن خنيس. ونشط أسد بن عبد الله في تتبع دعاة بني العباس فأخذ جماعة منهم سنة ١٠٩هـ وفيهم سليمان بن كثير الخزاعي ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق مولى خزاعة وخالد بن إبراهيم الذهلي وموسى بن كعب التميمي ولاهز بن قريظ التميمي، وكلهم من النقباء إلا أنه لم يعذبهم في هذه المرة بل أغلظ لهم القول بعد إنكارهم ما نسب إليهم وفي ولاية أسد الثانية على خراسان عاد فقبض عليهم سنة ١١٧هـ وعذب بعضهم، وبعد مقتل من قتل من الدعاة تأنى محمد بن علي في إرسال الدعاة لانكشاف أمر الدعوة فمكث سنوات لا يرسل أحداً، ثم تعرض الدعاة كذلك سنة ١١٣هـ في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن للقتل والتعذيب.

وفي سنة ١١٨هـ تعرضت الدعوة لأزمة داخلية حيث انحرف أحد الدعاة وهو عمار بن يزيد الذي أرسله بكير بن ماهان لخراسان داعية بها عن مبادئ الدعوة وتسمى بخداش، وأعلن دين الخرمية الإباحية ورفع التكاليف الشرعية فاتبعه على ذلك بعض الدعاة والأتباع فقبض عليه أسد بن عبد الله القسري وقتله وقيل بل قتله أصحاب محمد بن علي أنفسهم، وسبب عمل خداش أزمة داخلية أدت إلى اضطراب الدعاة واختلافهم وغضب محمد بن علي عليهم، ومكث حولين كاملين لا يكاتبهم ولا يراسلهم حتى بعثوا إليه سليمان بن كثير الخزاعي ليعلم رأيه فيهم فالتقى به سنة ١٢٠هـ وتبرأ محمد بن علي من خداش ولام شيعته على اعتقادهم لمقالته وأنبهم، ثم عالج الموقف بإرساله لبكير بن ماهان إليهم فجمعهم وقرأ عليهم كتاب محمد بن علي الذي يعلمهم فيه أن خداشا حمل شيعته على غير منهاجه فرجعوا للصواب، وتابوا واستأنفت الدعوة مسيرتها حتى توفي محمد بن علي سنة ١٢٥هـ.

وبعد وفاة محمد بن علي تولى ابنه إبراهيم الذي عرف بالإمام وفي زمنه توفي بكير بن ماهان سنة ١٢٧هـ، فولى مكانه أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال كبيراً للدعاة وأصبح يعرف بوزير آل محمد ﷺ، وظل قائماً بالدعوة في الكوفة حتى إعلان الخلافة العباسية.

كما حدث أن انتظم في سلك الدعوة قبل وفاة محمد بن علي أي سنة ١٢٥هـ رجل دُعي في التاريخ العباسي بأبي مسلم الخراساني، وكان مولى لبعض العجليين في الكوفة وجده عندهم بعض كبار الدعاة من خراسان أثناء مرورهم على الكوفة فأخذوه معهم وأهدوه للإمام الذي إلتمس فيه علامات النجابة والذكاء والقيادة، فاتخذه مولى له وأصبح الرسول بين الإمام والدعاة في خراسان حتى حظي بشرف توليه لأمر الدعوة بخراسان من قبل إبراهيم الإمام.

وكان من أهم أعمال إبراهيم الإمام في هذا الدور أن أعلن السواد شعاراً للدعوة وأرسل كبير الدعاة إلى خراسان ليعلم شيعته بتسويد الثياب واتخاذ الرايات السود والإعداد ليوم الخروج العلني.

وحدث في هذا الدور كذلك أن تم عزل خالد بن عبد الله القسري عن ولاية العراق وما يليه شرقاً بما في ذلك خراسان وتولاها غريمه يوسف بن عمر الثقفي، فقام هذا الوالي الجديد بالتنكيل بخالد القسري وبكل من يلوذ به الأمر الذي أغضب عشيرته من اليمانية وأشعل نار العصبية بينهم وبين المضرية وزاد الأمر سوءاً أن الخليفة هشاماً عين نصر بن سيار والياً على خراسان، فأظهر نصر تعصباً شديداً للمضرية، فكرهه اليمانية وكرهوا الأمويين الذين يمثلهم نصر، مما جعل اليمانية وحلفاءهم من الربعية يلتفون حول زعيمهم جديع بن علي الكرماني زعيم قبيلة الأزد اليمانية وأصبحوا بذلك أرضاً خصبة للدعوة العباسية، وأصبح العرب في خراسان بذلك فريقين أو كتلتين تتصارعان وتتنافسان، وحاول نصر إعادة الاستقرار إلى خراسان ومقاومة الدعوة العباسية بإجراء بعض الاصطلاحات المالية والإدارية، وإصلاح ما أفسده الدهاقين باستغلالهم لوظائفهم وفرضهم للضرائب على المسلمين من عرب وسكان محليين وإعفاء المجوس من أعوانهم ومعارفهم من الضرائب، إلا أن منافسه جديعاً الكرماني لم يترك له تلك الفرصة وسعى بدوره للوصول إلى السلطة واستغل ما حصل بين نصر والبلاط الأموي بسبب وفاة هشام وتولي الوليد بن يزيد الخلافة حيث جعل هذا خراسان مرة أخرى تابعة للوالي العراقي يوسف بن عمر فعزل هذا نصراً و لم يستجب نصر لهذا التغيير وأخر سفرته من خراسان حتى قتل الوليد بن يزيد فجأة، وبقي نصر رافضاً للتخلي عن خراسان رغم أن الوالي الجديد ليزيد بن الوليد الأموي على العراق منصور بن جمهور عين أخاه منظوراً عليها. وبقي الأمر مضطرباً حتى استولى مروان بن محمد على السلطة سنة ١٢٧هـ فعين يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على العراق والمشرق، فاعترف هذا الأخير بولاية نصر بن سيار على خراسان، واستعاد بذلك نصر شرعيته كوال للأمويين مما زاد في تشعب الصراع بينه وبين جديع الكرماني الذي كان نصر قد سجنه فتمكن من الفرار من سجنه وجمع القبائل حوله لمحاربة نصر.

وزاد الأمر سوءاً بين القبائل العربية أن ظهر على المسرح في خراسان الحارث بن سريج المرجئي الذي دعا للخروج على بني أمية، وتحالف مع جديع الكرماني ضد نصر ومن يعاونه من القبائل المضرية الذين يمثلون سلطان بني أمية، وتقاتل الفريقان مما اضطر نصراً للانسحاب من مدينة مرو عاصمة خراسان ودخول جديع والحارث إليها، لكن الخلاف لم يلبث أن نشب بين جديع والحارث فتقاتلا وتمكن الكرماني من قتل الحارث وتشتيت أنصاره في رجب سنة ١٢٨، إلا أن نصراً لم يدع جديعاً يتمتع كثيراً بهذا النصر فعاد وسار إليه على رأس جيش وتظاهر بعد عدة مناوشات برغبته في عقد الصلح ودعاه إلى معسكره واستغل نصر هذه الفرصة وحرض ابناً للحارث بن سريج على قتل جديع الكرماني ثأراً لأبيه، وقد تمكن فعلا من قتله مما جعل قيادة اليمانية تؤول إلى ابني جديع علي وعثمان فحنقا على نصر وناصباه العداء، وقد أحسن دعاة العباسيين وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني استغلال هذا الصراع بين العرب لصالحهم كما سنراه.

وفي أثناء هذا الدور كذلك خرج زيد بن علي زين العابدين بن الحسين على هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ إلا أن حركته ووجهت بمقاومة كبيرة من والي العراق للأمويين آنذاك يوسف بن عمر الثقفي الذي تصدى له وقتله، مما أحفظ شيعته وزاد الناس تذمراً وسخطاً على البيت الأموي، وأحسن دعاة العباسيين استغلال تلك الأجواء واستمروا في نشر دعوتهم وإبداء مساوئ بني أمية وإظهارهم على أنهم قتله آل البيت، خصوصاً وأن يحي بن زيد هرب من الأمويين إلى خراسان طامعاً في نصرة الناس له إلا أن ولاة الأمويين تمكنوا من متابعته حتى قتله أخيراً نصر بن سيار سنة ١٢٥هـ، ولا شك أن مصير الاثنين يبرز لنا هنا الفرق بين ثورات العلويين ودعوة بني العباس، فالأخيرون أمروا أتباعهم -كما سبق ذكره- أوامر صارمة بألا يشتبكوا مع العدو (الأمويين) في أي قتال ما لم تصدر تعليمات صريحة من القائمين على الدعوة بذلك حين تكون الفرص سانحة، بينما كان العلويون يهبون فجأة ودون تخطيط وبصورة علنية سافرة.

كذلك خرج في هذا الدور بالكوفة بعد مقتل زيد وابنه يحي هاشمي آخر من سلالة جعفر بن أبي طالب هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان خروجه سنة ١٢٦هـ وتوجه بعد ذلك بسنة نحو المشرق وتغلب على كثير من النواحي منها: حلوان وهمذان وقم وأصبهان والري، إلا أن عامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة طارده على رأس جيش كبير فاضطر للفرار إلى خراسان، وهناك تم القبض عليه على يد أتباع أبي مسلم الخراساني وسجنه ثم قتل، وقد أنهكت ثورته الجيش الأموي وساعد ذلك أتباع الثورة العباسية.

وزاد في هذا الدور كذلك نفوذ الخوارج وخطرهم وشكلوا على الدولة الأموية عبئاً كبيراً، وكانوا من أهم من واجههم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ضراوة وقوة، وكان

تمركزهم في أرض الجزيرة الفراتية بقيادة كل من الضحاك بن قيس وخليفته شيبان بن سلمة الحروري الذي تمكن بعد مقتل الضحاك من الفرار إلى خراسان والانضمام إلى المسرح السياسي بها لكي يزداد الأمر فيها اضطراباً وكذلك كان للخوارج وجود في اليمن والحجاز وشمال أفريقيا .

إضافة إلى كل ما تقدم استمر الخلاف الذي نشب في البيت الأموي على السلطة بعد موت هشام بن عبد الملك و لم يعترف بعضهم بخلافة مروان بن محمد وثار ضده، ونقل مروان عاصمته من دمشق إلى حرَّان بالجزيرة الفراتية مما أثار ضده أهل الشام وخصوصاً قبيلة كلب اليمانية الحليف التقليدي للأمويين.

كل هذه **الظروف** التي ذكرناها كانت **عوامل هامة ساعدت الدعوة العباسية على الانتشار**، وهيأت دعاتها إلى نقل أعمالهم وجهودهم من السرية إلى الإعلان لاستغلال الاضطراب الذي استفحل في الأقاليم وخصوصاً في خراسان لصالح الدعوة وهنا جاءت الأوامر لإعلان الثورة، والدخول في دورها الثاني وهو الدور العلني.

ثانياً: الدور العلني

يبدأ هذا الدور بتولية إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني قائداً عاماً لأمر الدعوة العباسية في خراسان بعد تهيئ الظروف والأحوال بها، وذلك بعد احتدام العصبية القبلية بين العرب واقتتالهم، واشتغال مروان بن محمد بمحاربة الثائرين عليه من أهل بيته ومن الخوارج، كما أن ظروف الدعوة بخراسان تطلبت إحداث تغيير في القيادة يضمن للإمام سيطرته على شؤونها خشية أن تتحول وجهتها من قبل بعض الدعاة ولا سيما سليمان بن كثير الخزاعي الذي كان قائماً بالدعوة فيها والمسئول عنها وكان ذا طموح وقوة وزعيماً في قبيلة خزاعة.

وفي هذا الأثناء كانت العلاقات قد ازدادت ارتباطاً بين أبي مسلم الخراساني والإمام إبراهيم، وتمكن الأخير من معرفة أبي مسلم وإدراك ما لديه من صفات قيادته تؤهله للقيام بدور كبير في أمر الدعوة خصوصاً بعد أن سفر له عدة مرات إلى خراسان وتزامن ذلك مع قدوم عدد من الدعاة النقباء ومنهم سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي إلى إبراهيم الإمام يطلبون إليه أن يولي على شيعته في خراسان قائداً جديداً يكون أهلا لقيادة الدعوة في هذه المرحلة المهمة من خط سيرها، وفضلوا أن يكون هذا القائد واحداً من آل بيت الإمام.

إلا أن إبراهيم الإمام وقع اختياره على أبي مسلم للقيام بالمهمة المذكورة وأرسله سنة ١٢٨هـ إلى خراسان ليكون أميراً على شيعة العباسين بها، وأمر الدعاة والنقباء بالانصياع له فقاموا بذلك وأسلموا الأمر له بعد تردد في ذلك منهم وتصميم من الإمام على ذلك، و لعل تهرب الإمام من تعيين رجل من آل بيته كان بسبب خشيته من افتضاح أمر من يدعى له فيؤدى ذلك إلى بلبلة في صفوف من انضم للدعوة ليس هذا وقتها من جهة ،و إلى تعقب الأمويين للعباسيين من جهة أخرى ،فضلا عمّا يمكن أن يقوم به عباسيٌ من تحويل أمر الدعوة بعد نجاحها إلى مكسب الشخصي له دون اعتبار الإمام الحقيقي، و كل هذه المخاوف أمكن تجنبها بتعيين الإمام إبراهيم لرجل مجهول الأصل لا يكسب شرعيته إلا من إنتمائه للإمام و هو أبو مسلم الخرساني، الذي كتب له الإمام كتاباً يقول فيه:"يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحتفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وحلّ بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره، ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير، ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني".

إلا أن كثيراً من المؤرخين، (لم يذكر الأزدي فى تاريخ الموصل العبارة المذكورة ضمن الرسالة و كذا صاحب العيون و الحدائق و المسعودي ، و ذكرها الطبري بغير إسناد و اعتمد من جاء بعده فى ذكرها عليه)، لم يذكروا ضمن الرسالة المذكورة عبارة: (وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل)، كما أن بعضهم ذكر أنه وقع في يد مروان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم، جواب كتاب لأبي مسلم، يأمره بقتل كل من يتكلم بالعربية بخراسان، وكأنهم يعتبرون ذلك اتهاماً من الأمويين للعباسيين بقصد النيل منهم عند الناس.

ولهذا فإن المؤرخين المعاصرين يرون أن العبارة دخيلة على الرسالة، وذلك لأن بعض المؤرخين القدماء ذكرها دون العبارة المذكورة، كما أن التناقض واضح في الرسالة في حال احتوائها على العبارة المذكورة، ففي بدايتها يأمر الإمام أبا مسلم بإكرام أهل اليمن والإقامة بين ظهرانيهم، وفي أخرها يأمره بقتل كل العرب، ويبدو أن الأمر اشتبه على بعض الرواة فأدخل ضمن الرسالة ما اتهم به الأمويون العباسيين بأنهم يكرهون العرب ويوالون الأعاجم، بل وردت روايات تفسر هذا الاشتباه وأن الأمر يتعلق بأمر الإمام لأبي مسلم بقتل رسول عربي سفر بينهما، و لم يكن الإمام يرضى أن يرسل أبو مسلم رجلاً عربياً للقيام بمهمة السفارة بينهما فأمر

في رسالته له بقتله ففض هذا الرسالة وأبلغ بها مروان بن محمد الخليفة الأموي وأدى ذلك إلى اهتمام الإمام بالأمر بقتل كل العرب.

على أن البعض يرى أن هناك كلمة محذوفة في الرسالة أو سقطا أخل بالمعنى وتقديره "ممن خالفك" وذلك يعني قتل العرب المخالفين فقط لا جميعهم، وهناك من يرى أنه وقع تحريف في الرسالة، وأن الصواب "إنساناً مريباً" بدل "لساناً عربياً" ويدل على ذلك ما ورد قبل ذلك وبعد ذلك في الرسالة من الأمر بقتل كل في أمره شبهه أو تهمة.

ولهذا فالراجح أن العبارة المذكورة ليست من الرسالة بشكلها الذي وردت به وأن في الأمر اشتباهاً على الرواة إما بسبب سقط أو تحريف، أو زيادة من الرواة على حسب ما أذاعه الأمويون بين الناس من كراهة العباسيين للعرب وموالاتهم للعجم، وأمرهم الدعاة بقتل العرب كافة.

على أنه لا ينبغى أن نستبعد أنه قد يكون للشعوبيين دور في وضع مثل هذه العبارة فى وقت لاحق لظهور الدولة العباسية و الدعوة لها تعبيرا عن رفض العجم للحكم العربي و أصبحت الرسالة بهذا صيدا ثمينا للمستشرقين السائرين فى هذا الاتجاه التفسيرى.

ولما قدم أبو مسلم خراسان واجتمع عليه الدعاة والنقباء أقام عند سليمان بن كثير الخزاعي في قرية سفيذنج على مقربة من مرو الشاهجان، واتخذ فيها مركزاً له، واهتم بترسيخ الدعوة وتنظيمها، ووجه دعاته إلى قرى خراسان ونواحيها، وأمر أتباعه بالاستعداد للخروج في اليوم الموعود حين يأتي الإذن بذلك، ونجح الدعاة في حشد الأتباع وتهيئهم حتى أصبح الأمر ينتظر الإشارة بالخروج.

وفي سنة ١٢٩ كتب الإمام إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم يأمره أن يوافيه بالموسم ليعطيه تعاليمه في أمر إظهار الدعوة، وأن يقدم معه بقحطبة بن شبيب الطائي، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال، فجمع أبو مسلم كل ذلك وسار متوجهاً إلى إبراهيم الإمام وبرفقته قحطبة وارتحل من قرى خزاعة، وأخذ طريقاً لا يمر به على مسلحة نصر بن سيار حتى وصل إلى قومس فأتاه بها كتاب من الإمام إليه ومع الكتاب لواء وراية، وكان في الكتاب:"ارجع من حيث يلقاك كتابي ووجه إلي قحطبة بما معك يوافيني به في الموسم"، كما كان هناك كتاب آخر إلى سليمان بن كثير الخزاعي فانصرف أبو مسلم عائداً إلى خراسان، وسار قحطبة بما معه من الأحمال إلى إبراهيم الإمام، ولما وصل أبو مسلم إلى قرية سفيذنج ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير الخزاعي، وكان فيه أن "أظهر دعوتك ولا تربّص فقدآن ذلك"، فأخذ أبو مسلم يرتب الأمر لإعلان الدعوة والقيام بالسيطرة على خراسان عسكرياً واجتمع بالنقباء والدعاة، واتفقوا على الإعلان في آخر شهر رمضان سنة ١٢٩ وأرسل بذلك إلى كل النواحي.

ولما كانت ليلة ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ عقد أبو مسلم اللواء الذي بعث به الإمام وكان يدعي "الظل" على رمح، وكذلك الراية التي كانت تدعي "السحاب" على رمح آخر، ولبس السواد هو ومن كان معه، وأوقدوا النيران لشيعتهم وجهزوا معسكرهم، وفي يوم العيد أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس وأمره بمخالفة بني أمية والعمل بالسنة في الابتداء بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة والأذان ثم الصلاة بالإقامة على مثل الجمعة، ثم أرسل أبو مسلم إلى نصر بن سيار الوالي الأموي رسالة تهديد ووعيد له إن لم ينضم إلى شيعة الرضا من آل محمد مما جعل الأخير يرسل له جيشاً بقيادة مولاه يزيد الذي التقى بقوات أبي مسلم في قرية آلين بقيادة النقيب مالك بن الهيثم الخزاعي الذي تمكن من القضاء على القوة التي أرسلها نصر، وأسر عدداً منهم قتلهم أبو مسلم إلا القائد يزيد الذي داوى جروحه ثم أرسله إلى نصر ليخبره وجماعته بأحوال العباسيين.

ويمكن تلخيص بقية أعمال أبي مسلم وقواده حتى وصلوا إلى الكوفة وأعلنوا الخلافة العباسية بما يلي:

١- **ذكرنا فيما سبق أن أمر العصبية القبلية والصراع بسببها** كان قد استفحل في خراسان، وكان ذلك في صالح الدعوة العباسية -حيث استغل الدعاة العباسيون تلك الأجواء لدعوة العرب إلى تجمع جديد من نوعه يتجاوز بهم تلك المشاحنات، ويجمعهم حول قضية واحدة تؤلف بينهم، فنجحوا في ذلك ودخل في الدعوة عدد كبير من العرب من كل القبائل ثم لما جاء أبو مسلم الخراساني عمل على استمالة أحد جوانب الصراع إلى جانبه من جهة كما عمل على إذكاء الصراعات بين مختلف الجوانب لإضعافها من جهة أخرى، وكان الجانب الذي استماله أبو مسلم إليه هو القبائل اليمانية التي كان يتزعمها جديع بن علي الكرماني وقد عمل أبو مسلم بعد نجاحه في استمالته على إذكاء الصراع بين جديع وبين نصر بن سيار عامل الأمويين حتى تمكن نصر من قتل جديع على النحو الذي سبق بيانه في حديثنا عن الدور السري، ثم قام أبو مسلم باستمالة ابني جديع، وهما علي وعثمان إلى جانبه ووعدهما بمساعدتهما في أخذ ثأر أبيهما من نصر وشيعته، فانضما إلى أبي مسلم، وعمل علي على ضم شيبان بن سلمة الحروري الذي كان قد جاء إلى خراسان —كما سبق بيانه- بعد انهزام الخوارج في الجزيرة علي يد مروان بن محمد، فدخل شيبان في صف الكرماني ولم يقبل عرضاً قدمه له نصر للموادعة معه وقوي أمر أبي مسلم، ثم حصلت محاولة من قبل بعض العرب لجميع القبائل العربية كلها ضد أبي مسلم وتوسط يحي بن نعيم بن هبيرة

الشيباني زعيم ربيعة بين اليمانية والمضرية لجمعهم ضد أبي مسلم الذي رأى فيه شخصاً خطيراً يمكن أن يقضي عليهم جميعا، ورغم أن هذه المحاولة نجحت في بادئ الأمر إلا أن أبا مسلم تمكن من فك هذه الموادعة وأرسل إلى شيبان الحروري لموادعته، كما أرسل سليمان بن كثير لابن الكرماني لإثارة حفيظته على نصر لقتله أباه، ونجح الاثنان في نقض الصلح الذي انعقد بين العرب، وهكذا عاد تحالف الكرماني وأبي مسلم من جديد، ثم سعى نصر إلى مصالحة أبي مسلم لكنه رفضه واختار التحالف مع الكرماني لعلمه أن نصراً كان يهدف إلى تهدئة الموقف ريثما تأتيه الإمدادات التي أرسل في طلبها إلى مروان بن محمد الخليفة الأموي، وهكذا استطاع أبو مسلم بالتعامل الذكي مع الأطراف المتنازعة أن يتفادى اجتماعها ضده وسوف يعمل على القضاء عليها جميعا واحدا تلو الآخر.

٢- **بعد الاتفاق الذي حصل بين ابن الكرماني وأبي مسلم** اتفق الاثنان على دخول مرو الشاهجان عاصمة نصر، وطلب أبو مسلم من ابن الكرماني أن يبدأ هو القتال مع نصر من ناحيته حتى يضمن عدم اتفاقه مع نصر ضده، ولما هاجم ابن الكرماني نصراً بالفعل انتظر أبو مسلم حتى يثخن الفريقان المتحاربان القتل في بعضهما البعض، وتأكد أنهما أنهكا بعضهما تقدم هو بجيشه ودخل مرو، والفريقان يقتتلان، فتلا قوله تعالى:﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه...﴾[1] ثم أمر الفريقين بالكف عن القتال والانصراف إلى معسكريهما، وتوجه هو إلى دار الإمارة للإقامة بها، ثم بعث قوة إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله ﷻ والرضا من آل محمد ﷺ، ولما رأى نصر ما حلّ به من اجتماع القوات ضده تظاهر بالقبول لكنه دبر أمر هروبه، وتمكن من الذهاب إلى سرخس واجتمع عليه فيها ثلاثة آلاف رجل، ثم غادرها إلى طوس ومنها إلى نيسابور فأقام بها، وكان دخول أبي مسلم مرواً في جمادى الأول سنة ١٣٠هـ.

٣- **بعد أن انتهى أبو مسلم من احتلال مرو** وأرغم نصر بن سيار على الفرار منها رأى ضرورة التخلص من شيبان بن سلمة الحروري أولا، فأرسل إليه جيشاً بقيادة بسام بن إبراهيم مولى بني ليث ومعه خازم بن خزيمة، وأرسل له قبل ذلك يدعوه إلى البيعة للرضا من آل محمد ﷺ لكنه رفض فتمكن جيش أبي مسلم من القضاء عليه وقتل الكثير من أصحابه وأسر بعضهم.

---

(١) سورة القصص: ١٥

٤- **في هذه الأثناء وفي سنة ١٣٠ عاد قحطبة بن شبيب الطائي** من عند إبراهيم الإمام ومعه لواء عقده له وأمر بتعيينه قائداً، ولهذا وبعد أن انتهى أبو مسلم من القضاء على شيبان بن سلمة عيّن قحطبة قائداً وجعل له حق التعيين والعزل، وكتب إلى الجنود بالسمع له والطاعة، وضم له عدداً من القادة والنقباء، ووجهه إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار، فالتقى قحطبة بتميم بن نصر بن سيار في طوس وانتصر عليه وقتله وقتل معه نحواً من سبعة عشر ألفاً في المعركة، وتم فتح طوس.

٥- **ثم توجه قحطبة بعد ذلك إلى نيسابور** في رمضان سنة ١٣٠ فخرج منها نصر إلى إحدى قرى قومس، والتقى قحطبة مع القوات التي أرسلها يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق بقيادة نباتة بن حنظلة الكلابي لمساعدة نصر ضد العباسيين، وكان هذا اللقاء قرب جرجان حيث انضم لنباتة أمراء أبيورد ونسا وسرخس وبقية قوات نصر إلا أن اللقاء انتهى بانتصار قحطبة في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٠، وقتل نباتة وعدد كبير من جيشه وبذلك دانت مدينة جرجان بالطاعة للجيش العباسي، إلا أن أهلها بعد فترة نبذوا الطاعة فعاد قحطبة إليهم وأحدث فيهم مقتلة عظيمة.

٦- **وفي سنة ١٣١ وجه قحطبة ابنه الحسن إلى قومس ليتتبع نصر بن يسار** ففر منها إلى الري، ومنها صار إلى همذان، وقبل أن يصل إليها توفي في ساوة بسب مرضه في ١٢ربيع الأول سنة ١٣١، وكانت سنه ٨٥ سنة.

٧- **دخل الحسن بن قحطبة الري وإلتحق به أبوه**، ثم سار الاثنان في البلاد يفتحانها حيث كان اللقاء الحاسم التالي في جابلق قرب أصبهان في رجب ١٣١ بين القوات العباسية بقيادة قحطبة والقوات الأموية بقيادة عامر بن ضبارة الذي أرسله والي العراق بعد أن بلغه مقتل نباتة، كما أمده بقوات أخرى على رأسها ابنه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة حيث بلغ عدد الجيش الأموي خمسين ألفاً، بينما كان قحطبة في عشرين ألفاً من القوات العباسية وانتهى اللقاء بهزيمة الجيش الأموي وقتل ابن ضبارة وفر داود بن يزيد، وتمكن الجيش العباسي من الاستيلاء على كل ما كان في المعسكر الأموي من السلاح والمتاع والرقيق والخيل، يقول ابن الأثير:"وما رؤي عسكر قط فيه من أصناف الأشياء ما في هذا العسكر كأنه مدينة".

٨- **وكان قحطبة قد وجه ابنه الحسن إلى همذان** فخرج منها عاملها مالك بن أدهم ومن كان معه من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند، فسار الحسن إليها ونزل على مقربة منها، فلما انتهى أبوه من هزيمة الأمويين في أصبهان التحق به وانضمت القوتان،

وضرب الحصار على نهاوند نحو ثلاثة أشهر حتى ضاق الخناق على أهلها، فصالح مالك بن أدهم قحطبة، وفتحت المدينة في شوال سنة ١٣١، ودخلها قحطبة، إلا أنه قتل من كان فيها من أهل خراسان الذين هربوا مع نصر بن سيار وقال: إنني لم أصالح على أهل خراسان وإنما صالحت فقط على أهل الشام"، وكان قحطبة قد عرض الأمان على أهل خراسان فرفضوه وقبله أهل الشام.

٩- **بعد فتح نهاوند** في شوال سنة ١٣١ وبلوغ خبر الفتح لأبي مسلم دبر أمر التخلص من ابني جديع الكرماني (عثمان وعلي) فتمكن من اغتيالهما حتى لا ينافساه على السلطة، واغتال معهما كبار أصحابهما، وبذلك دانت خراسان وبلاد ما وراء النهر لأبي مسلم وشيعته وأصبح الطريق مفتوحاً للتوجه نحو العراق.

١٠- **أمر أبو مسلم جيوشه بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي بالتوجه إلى العراق** لأخذه من والي الأمويين يزيد بن عمر بن هبيرة، فتوجه قحطبة نحو العراق وسار نحو الكوفة، وجرت بينه وبين يزيد بن عمر بن هبيرة معارك كبيرة في المحرم سنة ١٣٢، انتصر فيها جيش قحطبة، وانهزم ابن هبيرة وتفرق عنه أكثر جنوده، إلا بعضهم فعاد بهم إلى واسط وتحصن بها، إلا أن قحطبة كان قد توفي بسبب غرقه في الفرات وقيل قتله معن بن زائدة الشيباني، فتولى ابنه الحسن قيادة الجيش بوصية من أبيه، واتجه الحسن إلى الكوفة، وكان قد خرج بها قبل دخول الحسن محمد بن خالد بن عبد الله القسري داعياً لبني العباس، وكان قحطبة قبل وفاته قد أوصى بقوله:"إذا قَدِمتُم الكوفة فوزير آل محمد أبو سلمة الخلال فسلموا الأمر إليه".

١١- **بعد احتلال الحسن بن قحطبة الكوفة** وضعت القوات العباسية مقاليد الأمور كلها في يد أبي سلمة الخلال الذي قام بدوره بتوجيه القوى لإخضاع العراق حيث وجه قوة بقيادة حميد بن قحطبة لفتح المدائن، كما وجه قوات أخرى لفتح كل من عين التمر والأهواز والبصرة فنجحت هذه القوات كلها في مهمتها، وبالنسبة ليزيد بن عمر بن هبيرة فقد سير إليه أبو سلمة جيشاً بقيادة الحسن بن قحطبة يعاونه ستة عشر قائداً فنـــزل الجيش على مقربة من واسط وأقام الخنادق حول المكان الذي عسكر به.

١٢- **أما فيما يتعلق بالأسرة العباسية** فقد تمكن الخليفة الأموي من اكتشاف الإمام الذي يدعو له أبو مسلم الخراساني وشيعته وأنه إبراهيم بن محمد بن علي العباسي فأرسل إلى والي دمشق الوليد بن معاوية بن عبد الملك يأمره باتخاذ الإجراءات للقبض على إبراهيم الإمام، فقبض عليه عامل البلقاء وأرسله إلى دمشق ثم أرسل إلى حران

حيث إتخذها مروان عاصمة له، فسجنه مروان وانتهى الأمر بوفاته في السجن، وكان إبراهيم الإمام قد نعى نفسه إلى أهل بيته عند ما قبض عليه، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة وأوصى إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بالخلافة من بعده، فسار أبو العباس ومن معه من أهل بيته، ومنهم أخوه عبد الله (أبو جعفر المنصور)، وأعمامه داود وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد، وكذلك بعض أبناء إبراهيم وبنو عمومتهم، فقدموا الكوفة في صفر (سنة ١٣٢هـ) فأنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وكتم أمرهم نحواً من ٤٠ يوماً، وذلك لأن أبا سلمة لما بلغه خبر مقتل إبراهيم الإمام في سجن الخليفة الأموي فكر في نقل الخلافة إلى العلويين ربما لأنه ظن أن العباسيين ليس فيهم من يستطيع الاضطلاع بمهمة الخلافة بعد وفاة إبراهيم الإمام، أو لأنه رأى أن تأييد الناس لخليفة من العلويين سوف يكون أقوى، خصوصاً وأن هواه كان علوياً من قبل حيث كان أحد أتباع أبي هاشم.

وأياً كان الأمر فقد راسل أبو سلمة ثلاثة من العلويين هم جعفر الصادق بن محمد الباقربن علي زين العابدين بن الحسين بن علي، وعبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي، وعمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي، إلا أنه لم ينجح في إقناع أي منهم في القيام بمهام الخلافة، ولم يلبث أمر أبي سلمة أن انكشف من قبل دعاة العباسيين وقادتهم حيث تمكن أبو حميد محمد بن إبراهيم الحميري المروزي أحد قادة العباسيين من معرفة مكان أبي العباس وبقية أفراد البيت العباسي، وأخبر بذلك بقية الدعاة والقادة فجاؤوا إلى أبي العباس وأخرجوه، ثم بايعوه بالخلافة في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢هـ وبذلك تم إعلان الخلافة العباسية وأصبح أبو العباس أول خليفة عباسي كان عليه أن يتم القضاء على الأمويين، ويجهز على البقية الباقية من جيوشهم.

عصور الدولة العباسية

درج المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة العباسية إلى العصور التالية:

١- عصر قوة الخلفاء العباسيين، ويمتد من ١٣٢هـ إلى ٢٣٢هـ.

٢- عصر نفوذ الأتراك، ويمتد من ٢٣٢هـ إلى ٣٣٤هـ.

٣- عصر نفوذ البويهيين، ويمتد من ٣٣٤هـ إلى ٤٤٧هـ.

٤- عصر نفوذ السلاجقة والتابعين لهم من الأمراء والأتابكة، ويمتد من ٤٤٧هـ إلى ٦٥٦هـ تاريخ سقوط بغداد بيد التتار، وقد تضمن هذا العصر فترة عادت فيها القوة إلى الخلافة في العراق من سنة ٥٩٠هـ إلى ٦٥٦هـ جعلت البعض يعتبر هذه الفترة الأخيرة عصراً مستقلاً أطلق عليه عصر انتعاش الخلافة، لكن الحقيقة أن هذا الانتعاش ظل مقتصراً على العراق فقط، وقد عادت الخلافة العباسية بعد ذلك إلى مصر في ظل دولة المماليك لكن بصورة اسمية فقط.

ويمكن أن نعرف أسماء خلفاء بني العباس الذين حكموا في هذه العصور الأربعة ومدة حكم كل منهم من خلال هذه الشجرة:

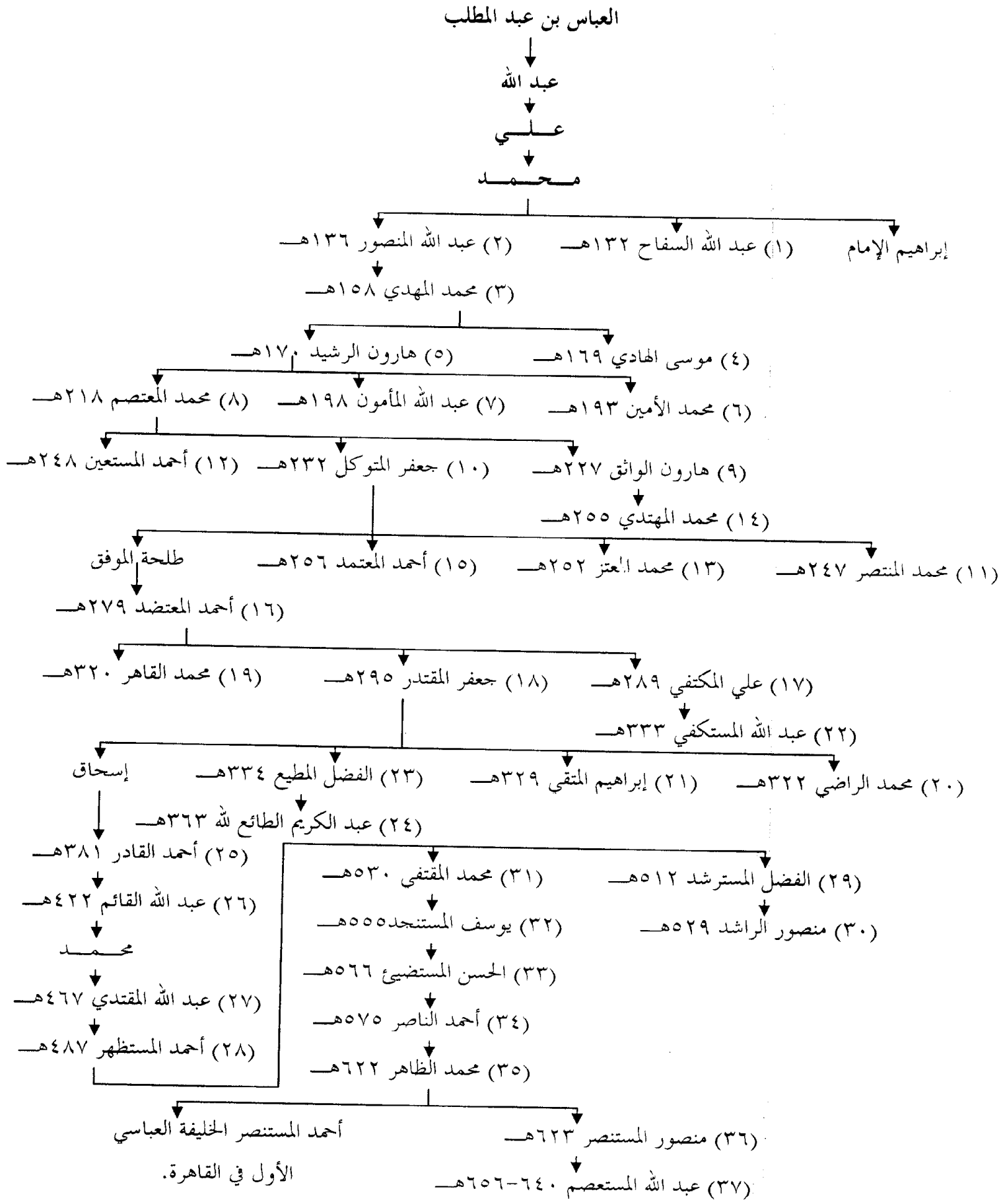
العباس بن عبد المطلب
عبد الله
علي
محمد
إبراهيم الإمام
(١) عبد الله السفاح ١٣٢هـ
(٢) عبد الله المنصور ١٣٦هـ
(٣) محمد المهدي ١٥٨هـ
(٤) موسى الهادي ١٦٩هـ
(٥) هارون الرشيد ١٧٠هـ
(٦) محمد الأمين ١٩٣هـ
(٧) عبد الله المأمون ١٩٨هـ
(٨) محمد المعتصم ٢١٨هـ
(٩) هارون الواثق ٢٢٧هـ
(١٠) جعفر المتوكل ٢٣٢هـ
(١٢) أحمد المستعين ٢٤٨هـ
(١٤) محمد المهتدي ٢٥٥هـ
(١١) محمد المنتصر ٢٤٧هـ
(١٣) محمد المعتز ٢٥٢هـ
(١٥) أحمد المعتمد ٢٥٦هـ
طلحة الموفق
(١٦) أحمد المعتضد ٢٧٩هـ
(١٧) علي المكتفي ٢٨٩هـ
(١٨) جعفر المقتدر ٢٩٥هـ
(١٩) محمد القاهر ٣٢٠هـ
(٢٢) عبد الله المستكفي ٣٣٣هـ
(٢٠) محمد الراضي ٣٢٢هـ
(٢١) إبراهيم المتقي ٣٢٩هـ
(٢٣) الفضل المطيع ٣٣٤هـ
إسحاق
(٢٤) عبد الكريم الطائع لله ٣٦٣هـ
(٢٥) أحمد القادر ٣٨١هـ
(٢٦) عبد الله القائم ٤٢٢هـ
محمد
(٢٧) عبد الله المقتدي ٤٦٧هـ
(٢٨) أحمد المستظهر ٤٨٧هـ
(٢٩) الفضل المسترشد ٥١٢هـ
(٣٠) منصور الراشد ٥٢٩هـ
(٣١) محمد المقتفي ٥٣٠هـ
(٣٢) يوسف المستنجد٥٥٥هـ
(٣٣) الحسن المستضيئ ٥٦٦هـ
(٣٤) أحمد الناصر ٥٧٥هـ
(٣٥) محمد الظاهر ٦٢٢هـ
(٣٦) منصور المستنصر ٦٢٣هـ
(٣٧) عبد الله المستعصم ٦٤٠-٦٥٦هـ
أحمد المستنصر الخليفة العباسي الأول في القاهرة.

عصر قوة الخلفاء العباسيين ١٣٢ - ٢٣٢ هـ

الخليفة أبو العباس السفاح و أهم أعماله

اسمه ونسبه: هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي العباسي. وأمه ريطه بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، **وقيل:** ريطة بنت عبد الله، **وقيل:** رائطة بنت عبد الله بن عبد الدار الحارثي، **وقيل:** رائطة بنت زياد بن عبد الله الحارثي.

مولده: ولد بالحميمة سنة ١٠٨هـ، **وقيل:** قبل ذلك سنة ١٠٤هـ أو ١٠٥هـ.

صفاته: كان شابا مليحاً مهيبا أبيض طويلاً وقورا.

بيعته: بويع له بالخلافة يوم الجمعة ١٣، ربيع الأول، **وقيل:** ربيع الآخر،سنة ١٣٢هـ، وخطب أبو العباس وصلى بالناس، ثم صعد ثانية وخطب للخلافة وبويع له بيعة عامة.

أهم أعماله في تثبيت أمر العباسيين و القضاء على بقايا الأمويين:

١- هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وملاحقته حتى مقتله:

كان مروان بن محمد قد عسكر على نهر الزاب الأعلى أحد فروع دجلة بقواته التي بلغت قرابة ١٢٠ ألفا لملاقاة الجيوش العباسية القادمة من المشرق. وكان قحطبة بن شبيب الطائي قد وجه أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى الموصل فانتصر على طليعة لمروان ولما وصل مروان إلى الزاب الأعلى سار إليه أبو عون وعسكر على الضفة الأخرى في مواجهته.

ولما بويع أبو العباس بالخلافة بعث عمه عبد الله بن علي لمحاربة مروان فسار إليه وانضم إلى الجيوش العباسية المعسكرة هناك والتقى بمروان في جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ وأوقع به وبجيشه هزيمة قاسية هرب بعدها مروان إلى الموصل فلم يرحب به أهلها فتركها و ذهب إلى حران.

وكتب أبو العباس إلى عمه عبد الله بن علي يأمره بتتبع مروان فسار في أثره حتى أتى الموصل فغلب عليها ورحب به أهلها، ثم سار إلى حران فخرج منها مروان بأهله وعياله ودخل عبد الله المدينة فبايعه أهلها، ثم تابع عبد الله سيره حتى أتى مدينة منبج وقنسرين فبايعه أهلهما، وقد وصل إليه مدد بعثه الخليفة بقيادة عبد الصمد بن علي في ٤ آلاف فتابع سيره في أثر مروان الذي قصد مدينة حمص ثم غادرها إلى دمشق، ومنها خرج إلى فلسطين، كل ذلك وعبد الله

يسير في أثره حيث دخل حمص وبايعه أهلها، ثم سار فنـــزل على دمشق ووصله مدد بقيـــادة أخيه صالح بن علي في ٨ آلاف فحاصرت الجيوش العباسية دمشق من كـــل أبوابهـــا، ولم يتمكن عاملها الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان من مواجهة الجيوش العباسية الـــتي دخلت المدينة عنوة في رمضان سنة ١٣٢هـــ، وقتل الوليد وأقام عبد الله في دمشـــق ١٥ يوماً، ثم سار إلى فلسطين فنـــزل بها، وكان مروان قد غادرها إلى مصر وهنا جـــاءه كتـــاب الخليفة يأمره بإرسال صالح بن علي في طلب مروان فخرج صالح في ذي القعدة سنة ١٣٢هـــ من نهر أبي فطرس بفلسطين حتى بلغ صعيد مصر فقتل مروان بقرية بوصير لثلاث بقين مـــن ذي الحجة سنة ١٣٢هـــ، واحتز رأسه وأرسله إلى أبي العباس، ثم رجع صالح إلى الشام وخلّف أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي على مصر.

٢- القضاء على مقاومة يزيد بن عمر بن هبيرة واستسلامه ثم مقتله:

كان يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق لمروان بن محمد قد انسحب إلى واسط بعـــد انهزامه من الجيش العباسي بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي، وقد أرسل إليه أبو سلمة الخـــلال الحسن بن قحطبة من الكوفة على رأس جيش ضم ١٦ قائدا، فحاصره الحسن و لما تـــولى أبو العباس الخلافة بعث أخاه أبا جعفر لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة فحاصره بها أشـــهرا، فلما جاءه قتل مروان بن محمد طلب الأمان فأمنه المنصور وكتب له كتاباً واشترط عليه أنـــه إن نكث أو غدر فلا أمان له، ولم يكن أبو مسلم راضياً عن إعطاء الأمان ليزيد بن عمـــر بن هبيرة و أوعز إلى أبي العباس بمقتله خشية نفوذه، وعلم أبو العباس بمحاولة يزيد بن عمـــر بن هبيرة الاتصال بمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالـــب و غـــيره، فأرسل تحت ضغط أبي مسلم إلى أخيه أبي جعفر بأمره بقتل يزيد معتذرا بغدره ونكثه للعهد، فقتله أبو جعفر بعد تردد قاضياً بذلك على أهم آخر مقاومة أموية.

٣- توجيه العمال إلى الأمصار:

سعى أبو العباس إلى تولية العمال على الأمصار من أهل بيته حتى يـــبرز دور الأســـرة العباسية في قيادة الثورة على الأمويين، وقد ولى:

- عمه داود بن علي على الكوفة وسوادها، ثم عزله وولاها ابن أخيه عيسى بن موسى.
- وولى عمه سليمان بن علي على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان.
- وولى أخاه يحيى بن محمد الموصل، ثم نحاه عنها وولاها عمه إسماعيل بن علي.
- وولى أخاه أبا جعفر الجزيرة وأرمينيا، و أذربيجان.
- وولى عمه داود بن علي علي المدينة ومكة والطائف واليمامة واليمن.

- وولى عمه عبد الله بن علي على قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن.

- وولى عمه صالح بن علي على فلسطين، واستخلف صالح على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي فأقره أبو العباس عليها.

- ولى عمه عيسى بن علي على فارس إلا خراسان والجبال فقد كان عليها أبو مسلم.

٤- التخلص من أبي سلمة الخلال:

سبق أن أشرنا إلى محاولة أبي سلمة تحويل الخلافة إلى العلويين بعد تلقيه نبأ مقتل إبراهيم الإمام وأنه قد فشل في محاولته تلك وتمت البيعة لأبي العباس. وقد جامل أبو العباس أبا سلمة في بداية الأمر لعدم تمكنه من القضاء عليه في حينه لسعة نفوذه وقوة تمكنه فأبقاه وزيرا له حتى تحين الفرصة المناسبة.

ولما تمكن الأمر لأبي العباس وتسلم زمام الأمر بيده بدأ يخطط للتخلص من الخلال فبدأ بإقصاء أتباعه والموالين له، ثم أرسل أخاه أبا جعفر لأبي مسلم يستشيره في أمره فأشار عليه بقتله إلا أن عم الخليفة داود بن علي نصحه أن يتم القتل من أحد رجال أبي مسلم حتى لا يتخذ أبو مسلم قتله حجة للخروج على الخليفة، وهكذا تم الاتفاق على أن يرسل أبو مسلم أحد رجاله لقتله فأرسل هذا مرار بن أنس الضبي لهذه المهمة، وتم الإعلان أن الخليفة قد رضي عن الخلال ودعاه وكساه، ثم انفرد به في إحدى الليالي حتى أسهره عامة الليل ثم لما خرج وحده إلى مترله عرض له مرار بن أنس ومعه أعوانه فقتلوه، وأشاعوا أن الخوارج هم الذين قتلوا أبا سلمة، وقد تمّ قتل أبي سلمة في رجب سنة ١٣٢هـ، ولم يكن أبو سلمة هو الوحيد الذي قتل من قادة الثورة العباسية، بل قتل غيره قبله وبعده وهذا من الأمور المصاحبة للثورات في العادة بسبب التنافس وخشية الاستقلال بالأمور ونحو ذلك من الأسباب.

٥- اتخاذ عاصمة جديدة للدولة العباسية:

حيث نزل أبو العباس بادئ ذي بدء في موقع قريب من الكوفة سمي هاشمية الكوفة، ولم يبق في الكوفة لما كان بينه وبين أبي سلمة ثم بعد عامين انتقل أبو العباس إلى الأنبار الواقعة على نهر الفرات فأقام بجوارها مدينة عرفت بهاشمية الأنبار اتخذها داراً للخلافة وظلت مقرا للدولة العباسية إلى أن قام المنصور ببناء مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ.

التنكيل ببني أمية واستئصالهم

كان من أهم نتائج نجاح العباسين في ثورتهم على الأمويين أنهم تعقبوا بني عمومتهم من بني أمية فأخذوا أبناء الخلفاء والأمراء منهم وقتلوهم ومثلوا بهم انتقاما منهم ومحاولة لاستئصالهم وإفنائهم و لم يفلت منهم إلا القليل، وكان ذلك في أغلب الأمصار إلا البصرة فإن سليمان بن علي لم يقتل من كان بها من بني أمية، و لم يغدر بمن أتاه مستأمنا، وحقن دماءهم وسعى في حصول الأمان لهم من الخليفة.

أما في بقية الأمصار فقد تعقب عمالها بني أمية حيث أقدم عبد الله بن علي على قتل عدد كبير منهم في دمشق وعند نهر أبي فطرس في فلسطين بعد أن أمنهم ثم غدر بهم، وفي مكة والمدينة قتل داود بن علي عددا منهم، وفي مصر قتل صالح بن علي منهم عدداً، وفي الموصل قتل يحيى بن محمد بعضهم، وكذا قتل أبو العباس سليمان بن هشام بن عبد الملك وابنيه بالحيرة بعد أن أعطاه الأمان.

إلا أن الأخباريين الشيعة قد بالغوا في تضخيم هذه المقاتل وتحريفهم لها وزيادتهم عليها وكأنهم أرادوا أن يصوّروا بذلك انتصاف العباسيين لأنفسهم وللعلويين من الأمويين، وذلك قبل اختلافهم مع العلويين، ثم لما اختلفوا معهم أراد رواة الشيعة أن ينددوا بالعباسيين فاتفقوا هم ورواة الأمويين على تهويل مقاتل الأمويين للتشنيع بالعباسيين، والتنديد بهم فضلاً عما في الطابع الأسطوري والخيالي لبعض الروايات التي هدفت إحداث آثار درامية لدى السامعين، على أن كل ذلك لا يقلل من أهمية الحدث وأنه قد حصل فعلا وأن بعض العباسيين قد بالغ فعلا في تعقبه للأمويين وقتله لهم مثل ما حصل من عبد الله بن علي العباسي الذي لقب بالسفاح لذلك، وهذا أمر يمكن فهمه عند قيام الدول في فترة التأسيس.

إلا أن ذلك لم يؤد إلى استئصال بني أمية بحال بل بقي منهم عدد في البلاط العباسي وفي بعض المدن التابعة للخلافة، وهاجر البعض الآخر إلى الأندلس وشرق أفريقيا.

تلقيب الخليفة العباسي الأول بالسفاح

اختلف في تلقيب الخليفة العباسي الأول بهذا اللقب هل كان لأنه كان سفاكا للدماء؟ أم لأنه كان مبيحا للمال كريما معطاء؟ وهل كان هذا اللقب في حياته أم أضيف إليه بعد ذلك؟ وهل لقب به غيره؟

لقد وردت الكلمة في خطبة لأبي العباس يصف بها نفسه حينما قال:"فأنا السفاح المبيح"، ولكن سياق الكلمة في الخطبة يدل على أن المراد بها المعطاء، حيث قال قبلها وهو

يخاطب أهل الكوفة:"قد زدتكم في إعطياتكم مائة مائة فاستعدوا فإني السفاح المبيح" وقد عرف أبو العباس بكرمه وكثرة أعطياته.

ويرى البعض أن تلقيب أبي العباس بالسفاح لم يكن إلا متأخرا، فلم يذكره بهذا اللقب المؤرخون الأوائل كالطبري واليعقوبي وابن قتيبة والجهشياري وممن ذكره له المسعودي ثم تناقله المؤرخون بعده، وكان ذلك لما بدأ الخلفاء منذ أبي جعفر المنصور يتخذون الألقاب فلما لم يجد بعض المؤرخين لأبي العباس لقبًا لقبه بالسفاح، وقد ورد هذا اللقب في حق عمه عبد الله بن علي بمعنى "السفاك للدماء" وهو جدير به لقسوته على الأمويين فاختلط الأمر على بعض المؤرخين وجعل ما لعبد الله بن علي لأبي العباس، وقد ورد تلقيب عبد الله بن علي بالسفاح عند ابن قتيبة الدينوري واليعقوبي ومصعب الزبيري.

ويرى بعض المؤرخين أن تلقيب أبي العباس إنما هو بالسفاح بمعنى "السفاك للدماء" وذلك لما تم في عهد ولايته من سفك دماء الأمويين وغيرهم من أعداء الدولة وأن الخليفة الأول حمل مسؤولية سفك هذه الدماء، وأن ذلك إنما تم بأوامره.

إلا أن الذي يبدو من وصف المؤرخين لأبي العباس بأنه كان كريما معطاء حليما يناسب وصفه بالسفاح بمعنى "الكريم المعطاء" لا بمعنى "السفاك للدماء"، كما أن تلقيب عمه بهذا اللقب بالمعنى الثاني قد أدى إلى الخلط في الأمر، وجعل الكثرة يميلون إلى تحميل الخليفة الأول مسؤولية ما حصل في عهده من سفك للدماء وما يحصل عادة حين قيام الدول من عنف ومحاولات مطاردة وتعقب واستئصال القائمين بالأمر قبل ذلك.

ومن المناسب أن نورد هنا أنه ورد لقب السفاح مقترنا بالعطاء في بعض الروايات الحديثية مسندا للرسول ﷺ حيث أورد الأزدي بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"يخرج من أمتي رجل يقال له السفاح يكون عطاؤه المال حثيا"، وكذلك أخرج الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ:"يخرج منا رجل في انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حثيا"، وكذا أخرج الإمام أحمد هذا الحديث.

وهذه الروايات وإن كان المناسب إيرادها في شأن المهدي المنتظر في آخر الزمان حيث وردت روايات صحيحة في وصفه بالكرم وكثرة إعطائه المال إلا أنها تفيد في الدلالة على أن الذي وصف أبا العباس بالسفاح ولقبه بذلك إنما كان يعني وصفه بالكرم والعطاء لا بسفك الدماء.

وفاة السفاح: توفي وهو مريض بالجدري في الأنبار في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ.

أبو جعفر المنصور

اسمه ونسبه: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، الملقب بالمنصور، وأمه بربرية اسمها سلاَمة.

مـــــــولـــــــده: ولد سنة ٩٥ هـــ.

صفاته: كان أسمر طويلا نحيفا مهيبا خفيف العارضين، وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأيا وحزما ودهاء، جماعا للمال حريصا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، هكذا وصفه الذهبي.

ثم ذكره الإمام الذهبي بقوله: أباد جماعة كبارا حتى توطد له الملك ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة وتصون وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة.

أعمـــاله في عهد أخيه: قيادته للجيش المكلف بمحاربة يزيد بن عمربن هبيرة في واسط، و نيابته عن أخيه فى السفر إلى خرسان لأخذ بيعة أهلها، و توليه لأرمينيا و أذربيجان و الجزيرة.

ولايـــــتـــه: تولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح بعهد منه في ذي الحجة سنة ١٣٦هـــ.

وفـــــاته: مات في طريقة إلى الحج ودفن بين الحجون وبئر ميمون بمكة في ذي الحجة سنة ١٥٨هـــ.

أهم الأحداث في عهده:

التخلص من حركة عمه عبد الله بن علي الذي خرج عليه في أول ولايته فرماه بنظيره أبي مسلم الخرساني وقال: لا أبالي أيهما أصيب، فانهزم عمه وتلاشى أمره، وكان خروجه على أبي جعفر وادعاؤه الخلافة بسبب دعواه أن السفاح وعد من ينتدب من أهل البيت لقتال مروان بالخلافة بعده فكان هو الذي انتدب لذلك، وقد بقي عبد الله بن علي في السجن مدة ١٠ سنوات حتى مات في ظروف غامضة سنة ١٤٧هـــ.

التخلص من أبي مسلم الخراساني وقتله بعد أن ظهر للمنصور خطره واستفحل أمره وأصبح خطراً على الخلافة العباسية بنـــزعاته الاستقلالية وقوة نفوذه وعدم انصياعه، وقد سلك معه أبو جعفر عدة إجراءات مرحلية قبل أن يقضى عليه نهائيا، وكان مما عمله معه:

- إرساله إلى عمه عبد الله بن علي للقضاء على فتنته.
- إرسال جيوش أخرى معه وبقيادات مستقلة عنه لمراقبته.

- تعيينه واليا على الشام بعد قضائه على فتنة عبد الله بن علي لإبعاده عن مركز قوته خراسان، ولكن أبا مسلم رفض ذلك.
- تعيين الخليفة واليا جديداً على خراسان هو خالد الذهلي.
- استدراجه لملاقاته ومن ثم تدبير أمر القضاء عليه سنة ١٣٧هـ.

القضاء على الراوندية الذين كانوا جزءا من شيعة بني العباس في خراسان، وكانت لهم آراء متطرفة في العباسيين، واستفحل أمرهم في سنة ١٤١ هـ حينما تجرؤا واقتحموا السجن لإخراج أصحابهم المسجونين فقاتلهم المنصور بنفسه وقتل منهم عددا كبيراً، وكان لمقتل أبي مسلم أثره في اضطراب أمر شيعة بني العباس من الراوندية وغيرهم وبالتالي خروجهم على العباسيين.

القضاء على حركة سنباذ الذي ثار غضبا لمقتل أبي مسلم وطلبا بثأره ونادى بآراء مغالية مستقاه من المزدكية والمجوسية والمانوية وكانت ثورته في نيسابور ثم استولى على الري ولما توجه إلى همذان وجه له الخليفة جيشا بقيادة جهور بن مرار العجلي الذي التقى به بين الري وهمذان، وانتصر عليه انتصارا ساحقا هرب بعده سنباذ إلى أمير طبرستان الذي دبر مؤامرة لمقتله، وتعتبر هذه الحركة منطلقا لحركات إيرانية مجوسية متعددة دعت إلى إعادة مجد الفرس القديم مثل حركة إسحاق الترك الذي قضى عليه خالد الذهلي سنة ١٤٠هـ، وأستاذسيس والمقنع وغيرهم.

القضاء على حركة أستاذسيس الذي استولى على أكثر مدن خراسان وعظم خطبه حتى أرسل له المنصور خازم بن خزيمة في جيش كبير ومعه ابنه المهدي وتمكن خازم من هزيمة أستاذسيس في سنة ١٥٠هـ، وهرب أستاذسيس في الجبال لكن خازما تبعه وحاصره حتى استسلم له، فأتى به بغداد حيث قتل فيها.

القضاء على ثورة العلويين بقيادة الأخوين محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخيه إبراهيم في سنة ١٤٥هـ، حيث أرسل أبو جعفر ابن أخيه عيسى بن موسى أولا إلى محمد في المدينة، ثم لما قضى عليه أرسله إلى إبراهيم بالبصرة فقضى عليه كذلك، وكانت ثورتهما من أخطر الثورات العلوية على العباسيين.

ظهور الامارة الأموية فى الأندلس، حاول العباسيون أن يقتلوا أكثر الأمويين، و لكن قد تمكن عدد منهم من الهروب ، ومن ضمنهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك و مولى له اسمه بدر و مولى لأخته اسمه سالم. وعبدالرحمن أمه بربرية من قبيلة نفزه ، و يبدو أن هذا هو الذى حمله ليتوجه فى هروبه الى أفريقيا. فى طريقه مر بمصر ثم اتجه الى تونس و كان

والي تونس فى القيروان عبدالرحمن بن حبيب الفهري يرغب فى الاستقلال بالحكم وأن يجعل الولايه وراثية في ذريته فعرف عبدالرحمن أنه لو بقي في القيروان سيقتله الفهرى. فواصل طريقه إلى أخواله البرابرة ثم ذهب إلى الأندلس. و كان فى الأندلس صراع قبلي وتنافس بين العرب و البربر، فأرسل عبدالرحمن مولاه بدرا إلى اليمانيين يستميلهم فقبلوا و استقبلوه سنة ١٣٨ هـ، و رحبوا به. وهناك تمكن من القضاء على الصميل بن حاتم وعلى يوسف بن حبيب الفهرى اللذين كانا يمسكان بزمام الأمور فيها ونجح في استعادة الأندلس لحكمه وتسمى بالأمير مؤسسا الإمارة الأموية التي استقلت عن حكم العباسيين وظلت تحكم أسبانيا نحو ثلاثة قرون.

وقد حاول أبو جعفر المنصور أن يستدرج العلاء بن المغيث الجذامي أحد الزعماء العرب في الأندلس ليخرج على عبدالرحمن واعدا إياه بإمارة البلاد باسم العباسيين إن هو نجح في التخلص منه وبعث له بلواء الدولة العباسية وبسجل تعيينه على الأندلس، فأخذ العلاء في الدعوة سرا إلى طاعة الخليفة المنصور أثناء سنة ١٤٦هـ وبعد نحو عام أعلن ثورته في سنه ١٤٧هـ ورفع أعلام العباسيين السوداء لكن الأمير الأموي تمكن من القضاء على ثورته وقتله مع عدد من رجاله وبعث برؤوسهم إلى المنصور الذي أدرك أنه أمام أمير قوي فعدل عن مشروع استعادة الأندلس وهو الذي لقب عبدالرحمن بصقر قريش تعبيرا عن إعجابه به. ولاشك أن المنصور لم يكن ليستطيع أن يرسل جيشا إلى الأندلس حيث كان الطريق إليها مقطوعا بإمارتين خارجيتين تكونتا في شمال افريقيا ، إحداهما في المغرب الأوسط أسسها عبدالرحمن بن رستم سنة ١٤٤هـ وتعرف بالإماره الإباضية ، والأخرى في المغرب الأقصى وهي دولة بني مدرار الصفرية التي نشأت في سجلماسة جنوب المغرب الأقصى سنة ١٤٠هـ

أعماله العمرانية:

- توسيع المسجد الحرام سنة ١٣٩هـ.
- بنى لأهل البصرة قبلتهم.
- عمل للكوفة والبصرة خندقاً وسوراً.
- بنى مدينة بغداد ما بين سنتين ١٤٥-١٤٦هـ وفرغ منها سنة ١٤٩هـ.
- بنى مدينة الرصافة سنة ١٥١هـ.
- بنى مدينة الرافقة سنة ١٥٥هـ.
- بنى قصر الخلد في بغداد وحوّل الأسواق من قرب دار الأمارة إلى باب الكرخ خارج المدينة وأمر بتوسيع الطرقات سنة ١٥٧هـ.

ويعتبر أبو جعفر المنصور بجهوده الكبيرة وأعماله مكملا لدور التأسيس للدولة العباسية، حيث إن ما قام به أبو جعفر كان له دور في ترسيخ الأسرة العباسية في الحكم وتوليها لزمام الأمور وإبعادها للقوى المنافسة وقضائها على الفتن الداخلية والقوى ذات النزعات الاستبدادية أو الاستقلالية أو المجوسية.

وتوالى على منصب الخلافة بعد أبي جعفر في هذا العصر العباسي الأول كل من:

محمد المهدي ١٥٨-١٦٩هـ، موسى الهادي ١٦٩-١٧٠هـ،

هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ، محمد الأمين ١٩٣-١٩٨هـ،

عبد الله المأمون ١٩٨-٢١٨هـ، محمد المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ،

هارون الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ، كلهم مات بوفاة عادية إلا الأمين الذي مات مقتولاً.

ملامح عامة عن العصر العباسي الأول:

- **كان منصب الخلافة في هذا العصر يتمتع بالقوة والنفوذ**، وكانت شخصيات الخلفاء قوية وذات نفوذ وسطوة، فقد كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم، ويعينون الولاة وسائر الموظفين ويعزلونهم، وكان بيت المال بأيديهم تَرِد إليه الأموال من الولايات والأطراف وتخرج منه بإذنهم، وكانت الخزينة عامرة وكل خليفة يموت يترك لمن بعده بيت المال عامراً بالمال الذي يكفي لتحقيق مشاريع الدولة وخططها،كما ظهرت قوة الخلفاء في قدرتهم على القضاء على الفتن الداخلية والنزعات الاستبدادية.
- إلا أنه على الرغم من هذه القوة الظاهرة لمنصب الخلافة فقد **ظهرت نزعات استقلالية** نجح بعضها في الاستقلال التام عن الخلافة كالإمارة الأموية بالأندلس، ودولة الأدارسة في المغرب، و بعض الدول الخارجية في شمال أفريقيا كالدولة الإباضية في إقليم تاهرت، و الدولة الصفرية في سجلماسة. واستقل البعض الآخر استقلالا إقليمياً فعليا رغم التبعية الظاهرة (الاسمية) للخليفة كدولة الأغالبة في تونس، والدولة الطاهرية في خراسان، وستجد هذه النزعة تطوراً كبيراً في العصر الثاني، وبهذا أصبحت حدود الخلافة لأول مرة حدوداً غير حدود دار الإسلام.
- **انبعاث الروح المجوسية** وحركات الزندقة وخروج أناس يدعون إلى العودة إلى الديانات الفارسية كالمزدكية والزرادشتية والمانوية وقد وقف الخلفاء في هذا العصر في وجه هذا التيار الطاغي وقفة قوية تمكنت من التصدي له ومواجهته، فقد حارب أبو جعفر المنصور سنباذ المجوسي، كما قضى على ثورة إسحاق الترك وثورة الراوندية وثورة أستاذسيس، وتابع المهدي سياسة والده في ملاحقة الزنادقة والقضاء على

حركاتهم الهدامة، وأحدث وظيفة (صاحب الزنادقة) وكلف من يقوم بتأليف الكتب للرد على الزنادقة، وأرسل الجيوش لحرب المقنع الذي ثار سنة ١٥٩هـ وادعى الربوبية ودعا إلى العودة إلى الأديان المجوسية، كما واجه المأمون حركة بابك الخرمي الذي ثار سنة ٢٠١هـ في أذربيجان وطبرستان وجرجان وتحالف مع البيزنطيين فأرسل له المأمون الجيوش المتعددة التي تمكنت من هزيمته سنة ٢١٨هـ هزيمة أولية، إلا أن القضاء النهائي عليه تم في خلافة المعتصم سنة ٢٢٢هـ، كذلك قضى المعتصم على ثورة الزط عام ٢١٩هـ وعلى ثورة المازيار في طبرستان سنة ٢٢٤هـ، وعلى الأفشين لما ظهر له فساد عقيدته وذلك سنة ٢٢٥هـ.

-**في الميدان الخارجي ظل الخلفاء يرسلون الجيوش**، ويقودونها بأنفسهم ولا سيما في الجبهة البيزنطية، وسطّر أبو جعفر والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم في ذلك صفحات رائعة.

و قد تمثلت سياسة العباسيين في هذا العصر تجاه البيزنطيين في النقاط التالية:

١) تحصين الثغور الموجودة فى الحدود مع البيزنطيين و لا سيما الثغور الجزرية والشامية.

٢) محاولة الإمساك بزمام المبادرة فى الحدود الإسلامية البيزنطية من خلال الاحتفاظ بنظام الصوائف و الشواتي حتى لا يفكر العدو فى مهاجمة أرض الإسلام أثناء انشغال الدولة بمواجهة الفتن الداخلية، و كان للخلفاء العباسيين فى هذا العصر دور فى قيادة العديد من هذه الحملات.

٣) الرد القوي على أية محاولة من قبل العدو لمهاجمة أرض الإسلام حتى لا يفكر ثانية فى ذلك مثل ما فعل الرشيد و المأمون و المعتصم.

٤) إلا أنه على الرغم من ذلك لم تتح الظروف المناسبة للعباسيين فى هذا العصر لانتهاج سياسة الاستقرار فى أرض العدو و فتح مناطق جديدة و اكتفوا بسياسة الحملات العقابية و عقد هدنات الصلح مع البيزنطيين و أخذ الجزية السنوية منهم.

-**ظهر في هذا العصر تقدم واضح للعناصر الإيرانية المسلمة** وبرزت أسر فارسية كبيرة كان لها دور كبير في تولى المناصب الإدارية والدواوين، كأسرة بني سهل وأسرة البرامكة، كما ظهرت التقاليد الفارسية في حياة الناس وظهر تأثرهم بالأساليب الاجتماعية الفارسية في الأعياد والمواسم والدور والطبخ واللباس.

-**ابتدأ الخلفاء والعلماء في هذا العصر جهوداً جادة لنشر الإسلام واللغة العربية في** البلاد المفتوحة وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية كان ثمرتها ظهور رجال أفذاذ شاركوا في العلوم الإسلامية والبراعة فيها رغم عجمة أصولهم، كما ظهرت حلقات العلم في المساجد في المدن الإسلامية في المشرق والمغرب حيث كان لها الدور المميز في نشر الإسلام والعلوم الإسلامية.

-**ظهر في هذا العصر توسع عمراني كبير** ولا سيما في بناء المدن حيث ظهرت مدن بغداد وسامرا والرصافة والهاشمية والرافقة، ورفادة وعيرها، كما ظهر الاهتمام بمشاريع التنمية الزراعية والصناعية حيث أصلحت طرق الري وأقيمت الجسور والقناطر وحفرت الأنهار، واستخرجت المعادن، كما ظهرت صناعة المنسوجات والعطور والورق والصابون والزجاج، كما ازدهرت الحركة التجارية ووصل التجار المسلمون إلى الصين والفلبين وبلاد الفرنجة وأفريقيا وروسيا كما ظهرت المصارف ووسائل تبادل الأموال.

-**ازدهرت الحركة العلمية في هذا العصر**، وظهرت في منتصف القرن الثاني ظاهرة تدوين العلوم الإسلامية تدويناً منظماً ومرتباً، وساعد على ذلك انتشار المكتبات العامة والخاصة، وتطور الوظائف التعليمية في المساجد، وتشجيع الخلفاء والأمراء لمجالس العلم والمناظرات بين العلماء ،كما توسع العلماء في الرحلات بين المدن والأقاليم والأمصار، وكذلك انتشار صناعة الورق.

-**شجع بعض خلفاء هذا العصر الترجمة** من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية كما فعل المنصور والرشيد والمأمون، وأصبحت الترجمة بذلك رسمية ترعاها الدولة وتشجعها بعد أن كانت فردية، وقد تمت في عصر المنصور ترجمة بعض العلوم الطبية والرياضيات والفلك من اليونانية والسريانية، وبعض الآداب الفارسية، وفي عصر المأمون تمت ترجمة المنطق والإلهيات من أقسام الفلسفة اليونانية وظهرت كتب أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان، وكان لترجمة كتب الفلسفة اليونانية المباشرة وغير المباشرة عبر المناقشات مع أهل الذمة أثر في ظهور وتطور الفكر الاعتزالي الذي آمن به بعض خلفاء هذا العصر كالمأمون والمعتصم والواثق وبدؤا يأخذون العلماء به بالقوة، وظهرت الفتنة المشهورة بفتنة خلق القرآن التي برز فيها اسم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لامعاً حيث وقف في وجه هذه الفتنة وقفة صامدة قوية كان لها أثر كبير في إعادة السنة وقمع البدعة.

-**في هذا العصر اتجه بعض الخلفاء للاستعانة بقوة جديدة** لم تتوزعها الأهواء والانتماءات الحزبية والإقليمية لجعلها جنداً خاصاً للدولة يكون ولاؤه لها، فاتجه المعتصم إلى الأتراك من أبناء فرغانة وأشروسنة والشاش وغيرها من بلاد الترك، إضافة إلى شعوب أخرى إلا أن الترك كانوا هم الأكثر واتخذ منهم جيشاً وبنى لهم مدينة جديدةً هي سر من رأى (سامراء) بعد أن ضاقت بهم بغداد إلا أن هؤلاء الجنود لم يلبثوا أن احتلوا مناصب قيادية عليا عسكرية وسياسية، وأخذوا يتدخلون في أمور الدولة وتعيين ولاة العهد حتى وقع الخلفاء تحت أسرهم تماماً في العصر التالي الذي عرف بعصر سيطرة الأتراك.

-**لم يتجنب العباسيون سياسة الأمويين في عقد ولاية العهد** لأكثر من واحد من أبنائهم، وكان لهذا آثاره السيئة في انقسام القوى المحيطة بالخلافة إلى عدة تكتلات ينتمي كل منها إلى ابن أو ولي للعهد الأمر الذي أدى إلى تقاتل بعضها مع البعض في بعض الأحيان كما حصل بين الأمين والمأمون.

-**ظهر في هذا العصر تميز واضح بين الإدارة المدنية** وكان على رأسها الوزير ثم موظفو الدواوين والكتاب، والإدارة العسكرية ممثلة بقادة الجيش وكبار رجاله، بينما كان الأمر في العصر الأموي يتسم بارتباط الإدارة المدنية بالإدارة العسكرية.

عصر سيطرة الأتراك ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ

ملامح عامة عن عصر سيطرة الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ)

تولى الخلافة في هذا العصر ثلاثة عشر خليفة هم:

١- جعفر المتوكل ٢٣٢-٢٤٧هـ (قتل)

٢- محمد المنتصر ٢٤٧-٢٤٨هـ (وفاة)

٣- أحمد المستعين ٢٤٨-٢٥٢هـ (خلع ثم قتل)

٤- محمد المعتز بالله ٢٥٢-٢٥٥هـ (قتل)

٥- محمد المهتدي بالله ٢٥٥-٢٥٦هـ (قتل)

٦- أحمد المعتمد ٢٥٦- ٢٧٩هـ (وفاة)

٧- أحمد المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ (وفاة)

٨- علي المكتفي ٢٨٩-٢٩٥هـ (وفاة)

٩- جعفر المقتدر ٢٩٥-٣٢٠هـ (قتل)

١٠- محمد القاهر ٣٢٠-٣٢٢هـ (سملت عيناه)

١١- محمد الراضي ٣٢٢-٣٢٩هـ (وفاة)

١٢- إبراهيم المتقي ٣٢٩-٣٣٣هـ (خلع وسملت عيناه)

١٣- عبد الله المستكفي ٣٣٣-٣٣٤هـ (خلع في عهد البويهيين بعد سمل عينيه)

وقد انقسم هذا العصر إلى أربع فترات:

١- فترة تسلط الأتراك على الخلفاء ٢٣٢-٢٥٦هـ.

(جعفر المتوكل،محمد المنتصر،أحمد المستعين،محمد المعتز بالله و محمد المهتدي بالله)

٢- فترة انتعاش الخلافة ٢٥٦-٢٩٥هـ. (أحمد المعتمد، أحمد المعتضد و علي المكتفي)

٣- فترة انتكاس الخلافة٢٩٥-٣٢٢هـ. (جعفر المقتدر و محمد القاهر)

٤- فترة إمرة الأمراء التي تسلم فيها صاحب هذا المنصب كل المقاليد وضعف منصب الخلافة تماما ٣٢٢-٣٣٤هـ. (محمد الراضي، إبراهيم المتقي و عبد الله المستكفي)